ازواج

باقي
للنشر والتوزيع

المدير العام / أسماء محمد نافع
مدير النشر / محمد عبدالرازق

رواية: ازدواج

تأليف: محمد عبد الرازق

مراجعة لغوية: د. دعاء السيد

تصميم الغلاف: أحمد الصباغ

التنسيق الداخلي: أسماء عطا

رقم الإيداع: ٢٠١٩/١٤٤١٨

التدمك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٧١٨-١٢-٨

جميع حقوق محفوظة ©
لا يجوز، دون الحصول على إذن خطي من الناشر،
استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا المصنف، أو استنساخها
أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة
إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام
أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any electronic or mechanical means, including information storge and retrieval systems, without permission in writing from the publisher,except by reviewers, who may quote brief passages in a review

رواية

ازدواج

سلسلة أكوان

تأليف

محمد عبد الرازق

عندما يضيق بك المكان تذهب إلى مكانٍ آخر، لعلك تجد فيه ما كنت تبحث عنه، ولكن ماذا إذا ضاق بك الكون الرحب؟ هل ستتركه وتذهب لكونٍ آخر؟ قد يستنكر البعض هذا السؤال، وقد ينعتني آخرون بالجنون، عندما أجيب بأنه من الممكن ذلك، يا عزيزي انفُض عنكَ رتابة الأيام ومرارة السنين وهيا معي لنحقق ما كنا نظنه مستحيل، هيا معي لننتقل عبر الأكوان، نرى عوالم موازية قد تكون فيها وزيرًا أو غفيرًا أو حتى رئيس جمهورية، لقد كتب القدر على رغدة صفوان أن تخوض التجربة، على الرغم منها، وكان عليها في كل مرة أن تدفع الثمن.

□

الفصل الأول

انحدرت دمعة ساخنة على وجنتي امرأة في العقد الثالث من العمر، بيضاء، شقراء، لها عينان بلون السماء، وهي تتطلع عبر حائط كبير من الزجاج يغطي بالكامل أحد جوانب غرفة العناية المركزة بإحدى المستشفيات الخاصة، كانت تتطلع إلى جسد رجل متين البنيان، أسمر اللون، وسيم، يحيط بجسده العديد من الأسلاك المتصلة بالعديد من الأجهزة التي تعمل جاهدة على إبقائه على قيد الحياة.

تمتمت المرأة بعدة أدعية شهيرة ثم أخرجت أحد محارمها ومسحت به دموعها التي تزايدت على الرغم منها قبل أن ترفع رأسها وهي تغمغم:

- ستنهض يا خالد، أعلم أنك تستطيع أن تتغلب على الصعاب مهما كانت، فإرادتك هي حياتك.

صكَّت مسامعها خطوات رصينة، فالتفتت إلى صاحبها لتجد أمامها الطبيب المعالج الذي أصبح على بعد مترين منها، فبادرته قائلة وهي تتطلع إلى ملامحه الجامدة بترقب وحذر:

- هل هناك جديد يا دكتور ياسين؟

عدل الرجل من وضع نظارته الطبية فوق أنفه المستقيم ثم قال وهو يتنحنح:

- مدام رغدة، الغيبوبة التي يستقر بها عقل زوجك منذ ثلاثة أيام كغيرها من الغيبوبات لغز محير، ليس لها حسابات ولا ضوابط ،لا نستطيع من خلالهاأن نعلم متى سيعود المريض منها، فهي رحلة إلى الجانب الآخر من العالم الخفي الذي لا ندركه ولا ندرك كيفية الدخول إليه و..

قاطعته رغدة بنفاذ صبر وهي تشير إلى الرجل ساكن الفراش:

- وإلى متى سيظل هكذا؟

عقد الطبيب حاجبيه ثم زمَّ شفتيه في ضيقٍ قبل أن يجيبها:

- لست أعلم، ولا أحد يستطيع أن يجيب على سؤالك، فقد تستغرق غيبوبته ساعة أو يوم أوشهر أو حتى سنوات، لا أحد يدري، كل ما يمكن أن تفعليه الآن هو الدعاء له بالعودة سالمًا إلى دنيانا.

ابتلعت ريقها بصعوبة وارتجفت شفتيها الرقيقتين على الرغم منها، فاستأذن منها الطبيب وتركها تنقل بصرها بين زوجها الراقد بلا حراك، وبين الأجهزة التي تنقل كل ما يخص حياته على شاشاتها المضيئة.

أسندت ظهرها على الجدار وتطلعت إلى أحد مصابيح الممر الذي يحمل على جانبيه حجرات المستشفى الشهير، لمع المصباح في عينيها فأغلقتهما، قبل أن تترك العنان لعقلها الذي فكَّ رباطه ثم انطلق إلى الماضي..

إلى الثلاثة أيام الماضية، والفاصلة في حياتها.

***

أشرقت شمس الصباح على تلك الڤيلَّا الكبيرة الأنيقة، والتي يدل كل ركن فيها على مدى الرقي والذوق الرفيع الذي يتمتع به أصحابها، وفي حديقتها الجميلة وقفت رغدة تقطف بعض الورود مختلفة الألوان قبل أن تحيطهم بحزامٍ متين من الخوص ثم تضعهم على مائدة الإفطار الذي أصرت أن تعدّه بنفسها دون تدخل من الطباخ أو السفرجي، بل وأعطتهم إجازة مدفوعة

الأجر في هذا اليوم، فاليوم مختلف عن باقي الأيام، فهو يوم مولد خالد زوجها الحبيب، والذي بعد وفاة والديها في حادثٍ أليم؛ أصبح هو كل ما لديها في هذه الدنيا، خاصةًوأن المولى عزَّ وجل أعطاها جزءًا من متع الحياة الدنيا، أعطاها المال الوفير.. لكنه حرمها من البنون، فزوجها رجل أعمال معروف، له العديد والعديد من الشركات التي تهتم بتكنولوجيا الاتصالات، والتي جعلته أحد أقطاب الصناعة، وأحد أهم رجال المال والاقتصاد في مصر.

لم يتردد والدها في الموافقة عليه عندما تقدم ليطلب يدها، ولقد حذت هي الأخرى حذو والدها دون تردد، فمن هي التي ترفض خالد رضوان المليونير الوسيم، والذي تتمنى نصف فتيات مصر أن تصافحه، والنصف الآخر يتمنى أن يتبادل معه ولو مجرد تحية عابرة.

أما هي فكانت تختلف عن الآخرين، حيث كانت ترى أن رجال الأعمال عبارة عن مجموعة من الشباب ورثوا أموالهم دون تعب

أو كلل، شلالات من النقود لا تنفذ، سهرٌ ولهوٌ ولعب، حياة لاهية، ليس لها أي ضوابط أو قيود، حتى قابلته..

كانت في إحدى الحفلات التي تقيمها واحدة من الجمعيات الخيرية، والتي أصبح لها شأنٌ ومكانة في مجتمعاتنا، لقد أصرَّت صديقتها شيماء على اصطحابها إلى هناك لتغير من رتابة وملل الحياة التي تعيشها، خاصةً بعد تخرجها في أكثر الكليات سخافة وملل (كلية الحقوق) والتي لم تكن أبدًا رغبتها، بل كانت رغبة والدها الراحل..

أطاعتها على الرغم منها،خاصةً بعد الإلحاح غير العادي، والذي تستحق عليه شيماء جائزة أوسكار، وهناك قابلت خالد رضوان، ذلك الفتى الذي أثار العديد من التساؤلات بين الحضور..

- كيف بمليونير شاب أن يكون بشوشًا، ودودًا، رقيقًا، كريمًا، متواضعًا، غير متكلف؟

-كيف يأتي إلى حفلة بسيطة كتلك، والتي لاتهتم إلا بجمع التبرعات؟

-كيف يأتي لهذه الحفلة بملابس بسيطة جدًا لا تتناسب مع مكانته وقدره؟

كيف وكيف وكيف.. والإجابة واضحة وغريبة على أصحاب العقول المُغلَقة، إن خالد كان بارًّا بوالديه؛ فرزقه الله دماثة خُلُق، وبشاشة وجه، وبارَك له في ماله وفي شبابه.

يومها رآها فاقترب منها، وألقى عليها التحية، ثم تجاذب معها أطراف الحديث، فبادلته إياه وهي تذوب خجلًا في البداية، قبل أن تنسجم معه في حوارٍ طويلٍ حول المجتمع وأحواله، وقتها أدركت أنها كانت مخطئة في الفكرة التي كونتها عنه و.. ودقَّ قلبُها بالحب.

تكررت لقاءاتهما في العديد من الحفلات التي حرصت هي على التواجد فيها في كل مرة تعلم أن خالد سيكون ضيفها، والذي كان بدوره لا يذهب إلى هناك إلا إذا علِم أنها ستكون إحدى ثُرَيَّاها التي تشعُ ضوءًا وبهجةً وحياة و..

- صباح الخير.

التفتت إلى زوجها _الذي ألقى عليها تحية الصباح_ وعلى وجهها أجمل ابتسامة في الكون وهي تقول:

- صباح الفل والورد والياسمين، كل عامٍ وأنت حبيبي.

احتضنها بحنان وهو يهمس في أذنها:

- كل عامٍ وأنتِ حياتي.

قال عبارته ثم أبعدها عنه برفق وهو يتأمل ملامحها الجميلة ويتابع:

- هيا يا عزيزتي، لم يعد لدينا وقت.

عقدت حاجبيها متسائلة ثم قالت:

- إلي أين؟ اليوم يوم مولدك، ولقد أعددت لك مفاجأة ستروق لك للاحتفال بهذا الحدث السعيد.

لوَّح بكفِّه في حركة مسرحية وهو يقول:

- لن تكون مثل مفاجأتي يا حبيبتي.

في لحظة واحدة نسيت ما أعدَّته له، واندفعت تحتضنه مرة أخرى وهي تقول بلهفة:

- ما هي؟!

أطلق ضحكة مرحة ثم قال:

- ليس قبل أن أعرف مفاجأتك أولًا.

ضربت قدمها اليمنى بالأرض وقالت بعنادٍ طفولي:

- لا، أخبرني أنتَ أولًا.

ابتسم على الرغم منه أمام تبدل موقفها السريع ثم قال وهو يتطلع إلى ساعة يده الماسية:

- سننطلق إلى جزر المالديف لقضاء عدة أيام هناك.

اتسعت عيناها من فرط الدهشة والفرح قبل أن تقبله قبلة سريعة وتقول:

- يالها من مفاجأة، أخيرًا ستأخذ إجازة، ولكنك رجعت من السفر أمس! وأعتقد أنك تحتاج إلى الراحة.

قال وهو يتطلع إليها بحبٍ وحنان:

- لا عليكِ يا عزيزتي،سيكون شهر عسل جديد، سنُعيد الأيام الخوالي.

أنهى عبارته ثم أشار إلى مائدة الإفطار وتابع:

- سنتناول إفطارنا ثم..

قاطعته قائلة وهي تنطلق إلى الشيلَّا:

- تناوله أنت يا حبيبي، بالهناءِ والشفاء، أما أنا فسأذهب لإعداد حقائب السفر، فأنا أتطلع إلى رحلة لا تُنسى.

ولكنها لم تكن تعلم أن عبارتها دقيقة تمامًا..وإلى أبعد مما تتصور.

***

انطلقت سيارة ألفا روميو حديثة تنهب الأرض نهبًا في طريقها إلى أحد المطارات الخاصة، كان خالد يسارع عقارب الساعة من أجل اللحاق بطائرته، فابتلعت رغدة ريقها بخوفٍ وهي تتشبث بذراعه وتقول:

- هدىء السرعة قليلًا يا خالد، إنني خائفة.

أطلق زوجُها ضحكة مَرِحة عالية وهو يزيد من الضغط على دواسة الوقود ويقول وهو يلتفت إليها:

- لقد أضعتِ منَّا ثلاثَ ساعاتٍ كاملة في إعداد الحقائب، ونحن في الحاجة لدقيقة نستمتع بها معًا هناك و..

ارتفعت صرختها تضرب طبلة أذنه في تلك اللحظة، فالتفتَ إلى الطريق ليجد أمامه _وعلى بعد عشرين متر تقريبًا_ شاحنة من شاحنات النقل تعترض طريقه فجأة..

حاول إدارة عجلة القيادة بعيدًا عن الشاحنة، ولكن المسافة بينه وبينها كانت قريبة أكثر من اللازم، فباءت محاولته بالفشل، ولم يعد هناك مفر من الاصطدام المروع..

انتفضت رغدة عندما وصلت بذكرياتها عند هذه اللحظة المؤلمة، حاولت التقاط أنفاسِها ولكنها عجزت عن ذلك، حاولت التشبث بأي شيء، فخانها كل شيء، ولم تجد إلا الفراغ الذي استسلمت له و..

وسقطت أرضًا.

***

لا تدري كم غابت عن الوعي، ولكنها عندما أفاقت وجدت نفسها تتمدد على فراشٍ أبيض اللون في إحدى غرف المستشفى التي يوجد بها زوجها، لم يفصلها عنه إلا بعض الجدران الصلبة القاسية، حياتها الآن أصبحت على المحك، فما بين ليلةٍ وضحاها

أصبحت وحيدة بلا سندٍ أو عون، لقد سقط خالد، سقط جدارها الذي كانت تستند عليه، سقط الحصن المنيع الذي كان يحميها من أنصاف البشر، من الدنيا وجحيمها من الـ..

- حمدًا لله على سلامتك.

التفتت إلى مصدر الصوت فوجدت أمامها ممرضة شابة مليحة الوجه، تبتسم برقة وعذوبة، فافترَّ ثغر رغدة عن ابتسامة باهتة ماتت على شفتيها قبل أن تخرج للحياة، قبل أن تقول بوهن:

- ماذا حدث؟

همَّت الفتاة بإجابتها وهي تغرس سن المحقن في كيس محلول الجلوكوز المعلق بجانب الفراش،ولكن دكتور ياسين دخل في هذه اللحظة فتطوع بالإجابة قائلًا:

- دوار بسيط من شدة الإجهاد وعدم تناول الطعام، طوال الفترة الماضية.

لم تستطع أن تمنع شلال الدموع الذي أغرق وجنتيها، وصورة خالد لا تفارق عقلها، فقالت من بين عبراتها:

- ياليتني كنت مكانه، ليتني فديته بحياتي.

همَّ ياسين بالرد عليها، ولكنَّ هاتفه المحمول أعلن اعتراضه في هذه اللحظة فارتفع رنينه بإصرار، فتناوله الرجل بسرعة وتطلع إلى شاشته قبل أن يبتسم ويقول:

- هل صحيح ما تسمعه أذني! دكتور حسام حمدي بنفسه! متى عدت من اليابان؟

صمت قليلًا ليستمع إلى محدثه وابتسامة عذبة تتألق على شفتيه قبل أن يقول:

- حمدًا لله على السلامة، متى سنتقابل؟

صمت مرة أخرى لنصف دقيقة كاملة ثم قال:

- حسنًا.. سأنتظرك غدًا في الـ..

عاد إلى صمته مرة أخرى،ثم عقد حاجبيه وهو يقول:

- هنا في المستشفى! ألا تمل من العمل؟!

قال عبارته ثم أطلق ضحكة عالية وهو يغادر الحجرة ويواصل حديثه مع زميله، تتابعه عيني رغدة قبل أن تديرهما إلى سماء الغرفة ولسان حالها يقول (كلٌّ يغني على ليلاه).

***

تعانَق الصديقَان في حرارة وجلسا متقاربين ليتبادلا بعض الأحاديث الطريفة قبل أن يقول دكتور ياسين وعلى وجهه ابتسامة متألقة:

- خمس سنوات في اليابان، أعتقد أنك اكتسبت العديد من الخبرات في مجالك.

تنحنح دكتور حسام وقال وهو يعتدل في مكانه:

- بالتأكيد، أنت تعلم أنني متخصص في أمراض المخ والخلايا العصبية، وهناك اكتشفت أننا تقريبًا لا نعلم عن العالم الخارجي أيَّ شيء، فهناك توجد الأجهزة والإمكانيات التي تؤهلك كي تكون أبرع أهل الأرض في مجالك إذا اجتهدت فيه.

صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه، فسأله ياسين قائلًا:

- وهل أصبحت كذلك؟

ابتسم حسام بهدوءٍ واثقٍ وقال:

- بل أكثر بكثير، قل لي.. كم حالة من حالات الغيبوبة توجد هنا في المستشفى؟

عقد الرجل حاجبَيه وأجاب:

- حالة واحدة فقط.

سأله حسام باهتمام:

- رجلٌ أم أنثى؟

أجابه ياسين على الفور:

- رجل، وقع في غيبوبة منذ ثلاثة أيام، إثر حادث سيارة.

تكلم حسام وهو يقوم من مكانه ويتحرك في الحجرة:

- أخبرني أكثر عن حالته.

أطلق ياسين ضحكة عالية وقال مداعبًا صديقه:

- لماذا؟! هل ستجري تجربة من تجاربك اليابانية عليه؟

ابتسم حسام بثقة وقال وهو يهز كتفيه:

- ربما.

تجهمت ملامح ياسين فجأة وقال بجدية:

- حسام، أنت تعلم أن والدي هو صاحب هذه المستشفى، وأنه يعتبرك بمثابة ابنه، مثلي تمامًا، فلا تجعله يغير معاملته لك بسبب أفكارك المجنونة.

اقترب حسام من صديق عمره وقال وهو ينظر في عينيه:

- اطمئن، أنا أيضًا أكِنّ لوالدك كل حب وتقدير، فأنت تعلم أن القدر حرمني من والدي منذ كنت صغيرًا، وقامت والدتي بتربيتي برعاية والدك، ومن المستحيل أن أنكر جميله أو أتسبب في أي ضرر له أو للمكان.

أطلق ياسين تنهيدة حارة ثم هز رأسه بفراغ صبر، فهو يعلم أن صديق عمره يحمل بقلبه عنادًا وبأسًا شديدًا، إذا أراد شيئًا فعله، فقال بلهجة عملية:

- حسنًا، الحادثة وقعت منذ ثلاثة أيام لرجلٍ بالغ في العقد الرابع من العمر، كان في طريقه إلى المطار لقضاء إجازة لعدة أيام مع زوجته، وفي الطريق إلى المطار اعترضتهم شاحنة نقل كبيرة، فحدث الاصطدام، وتم نقله إلى هنا على الفور فأجرينا له اللازم، وهو في حجرة العناية المركزة في غيبوبة تامة، وكل معدَّلاته الحيوية تعمل بشكل طبيعي.

عقد حسام حاجبيه قبل أن يسأله:

- وزوجته، ماذا حدث لها؟

أجابه ياسين:

- لم تصب بأي إصابات على الرغم من قوة الصدمة، التي أصابت زوجها بالكامل.

تحرك حسام فجأة إلى خارج الحجرة وهو يقول:

- هيا إلى هناك، أريد أن أراه عن قرب.

قرن قوله بالفعل ولحق به ياسين وهو يقول:

- اهدأ قليلًا، ستراه ولكن..

كان حسام قد وصل بالفعل إلى حجرة الرعاية، فقطع ياسين كلامه وغمغم:

- لا فائدة، العناد في دمه.

دخل حسام إلى حجرة خالد و..

وارتفع حاجبَيه بدهشة عندما وجد رغدة تجلس على مقعد بجوار زوجها وهي تحتضن كفه الكبيرة وتهمس:

- اطمئن يا حبيبي، كل الأمور ستسير كما كنت موجود وأكثر، المهم ألا تتركني وحيدة، فحياتي هي حياتك، لا يطيب لي العيش بدونك، أنت أملي وروحي، أنت قلبي وحب عمري.

اقترب منها حسام ببطء ثم قال بصوتٍ خافت:

- بإمكاني إعادته إليك.

التفتت فجأة إليه.. ثم عقدت حاجبَيها وقالت بحدة:

- من أنت؟ وكيف تدخل على امرأة وزوجها دون استئذان؟

أجابها ياسين الذي وصل في هذه اللحظة إلى الحجرة:

- هذا دكتور حسام حمدي، خبير جراحات المخ والأعصاب، وهو صديق عزيز، إن لم يكن أخٌ أيضًا.

تكلَّم حسام في هذه اللحظة وهو يشير إلى خارج الحجرة:

- أعتقد أن الحديث سيكون أفضل خارج الحجرة حتى لا نقلق المريض.

ألقت رغدة نظرة حانية على زوجها ثم غادرت الحجرة وتبعها الطبيبين إلى مكتب ياسين، وهناك تحدث حسام قائلًا بحماس وبلهجة عملية وهو ينظر إلى عينَي رغدة مباشرة:

- بإمكاني أن أعيد زوجك إلى عالمنا مرة أخرى.

تهللت أساريرها وقالت على الفور:

- كيف هذا؟

كان نفس السؤال هو الذي خرج من عقل ياسين ولم يفصح عنه لسانه، فسبقته رغدة إلى ذلك، فابتسم حسام وقال وهو يشير إليها:

- سيحدث ذلك من خلالك.

تحدث ياسين في هذه اللحظة وقال بفراغ صبر:

- أفصح عما تريد قوله على الفور يا حسام بالله عليك، فهذا ليس بالوقت المناسب لتلك الخُطَب!!

قال حسام وهو يتراجع في مقعده الوثير ويقول:

- المخ البشري يحمل ذاكرة تخزين قوية تقدر بحوالي٢٥٦ أكسا بايت، وهو ما يعادل ٢٥٦ مليار جيجا بايت، وهي مساحة تخزينية هائلة بالنسبة للعقل البشري، وعلى الرغم من ذلك لا نستخدم منها إلا ٤٠٪ فقط.

صمتَ قليلًا ليرى تأثير كلماته على وجه رغدة التي كانت كل خلجة من خلجات وجهها تدل على الدهشة والذهول، فابتسم على الرغم منه، فاستحثه ياسين على المواصلة قائلًا:

- نحن نعلم ذلك، أين الجديد في هذا الموضوع؟

تكلَّم حسام وهو يعاود النظر إلى رغدة وسألها:

- ما رأيك أن نضيف ذاكرة زوجك إلى ذاكرتك؟

انتفضت رغدة في مكانها على الرغم منها وقالت:

- كيف هذا؟

أخرج حسام من جيب سترته قلمًا يشبه القلم الحبر العادي.. إلا أنه أكبر منه قليلًا، ومكان السن يوجد ثقب صغير، وفي الناحية الأخرى توجد دائرة من عدة مصابيح صغيرة الحجم جدًا.

أثار منظر القلم الغريب عدة تساؤلات عند ياسين، فأطلق العنان لأولها على الفور قائلًا:

- ما هذا الجهاز؟

أجابه حسام ببطء وهو يتأمل الجهاز الغريب بفخر:

- إنه (كيتسوريو) ، أحدث جهاز لنقل الذاكرة، بل لا أكون مبالغًا إذا قلت أنه الأول من نوعه في العالم.

سألت (رغدة) (حسام) في هذه اللحظة وهي تشير للجهاز المستكين بين أصابعه:

- هل هذا الجهاز سيعيد خالد للحياة مرة أخرى؟

أجابها وهو يقترب منها:

- بل سيعيد ذاكرته إليكِ، دون جسده.

هزَّت رأسها بقوة وهي تقول:

- لا أفهم شيئًا مما تقول!

أجابها وهو يضع الجهاز على مكتب ياسين الذي التقطه وأخذ يتأمله بإعجاب:

- الحكاية باختصار أن هذا الجهاز يمكنه أن ينقل كل ذاكرة زوجك إليكِ، كل لحظة عاشها من لحظات حياته، كل مشهد رأته عينيه، كل كلمة سمعها، كل صوت حزين أوسعيد سمعه وتأثر به، طفولته.. شبابه قبل لقائك وبعده، كل شيء داخل جمجمته سيكون داخل العلبة العظمية التي تحملها رقبتك،وفي مساحة ٤٠٪ أخرى من ذاكرتك.

تحسست رأسها على الفور عندما انتهي من كلامه وتراجعت بخوف عندما أدركت عمق وخطورة كلمات حسام، فتكلم ياسين في هذه اللحظة وقال باهتمام:

- هل تمت تجربة هذا الجهاز على أشخاصٍ من قبل؟

التفت إليه حسام ثم أجابه:

- ٢٥٠حالة تمت تجربة هذا الجهاز عليهم، ولم تحدث لهم أي مضاعفات.

سألته رغدة باهتمام:

- ولكن هل هناك فائدة من ذلك، إذا كان الجسد راقدًا بلا حراك؟

أجابها حسام على الفور وهو يبتسم بثقة:

- بالطبع هناك فائدة كبيرة.

قال عبارته ولم يعطِهم إجابة صريحة، بل تأمل ملامحهم لعدة ثوانٍ ليرى تأثير الحوار عليهم، فوجد صديق عمره عاقدًا حاجبَيه في انتظار الإجابة، أما رغدة فقد دلَّت كل خلية من خلايا وجهها على مزيجٍ غريبٍ من الرعب والأمل، فالتقط نفسًا عميقًا ثم قال:

- سيتحدث إليكَ صاحب الذاكرة الذي ستستضيفه في رأسك، ويتناقش معك في كل شيء وكأنه يعيش معك لحظة بلحظة.

جاء الدور على رغدة كي تعقد حاجبَيها وهي تستمع لكلمات حسام التي يلقيها على مسامعهم ببساطة، كان حديثه بالنسبة لها دربًا من الخيال والجنون، فهي بطبيعتها البسيطة لا تحب أي تعقيدات في حياتها، فكيف ستكون تجربة هذا الطبيب العجيب إذا ما قامت بتجربتها على نفسها، هل سيعيد ذلك خالد إلى عالمها؟

ولكن هذا الرجل يقول أن ما سيعود من خالد هو ذاكرته فقط وليس جسده، فكيف ستعيش مع ذاكرة دون جسد؟ و..

قطع حبل أفكارها دخول أحد الممرضات إلى غرفة ياسين وهي تقول بانفعال:

- دكتور ياسين، لقد عاد مريض الغرفة رقم ٧ إلى وعيه.

لم تصدق رغدة أذنيها فاندفعت إلى خارج الحجرة وتبعها ياسين على الفور وهو يقول لحسام:

- يبدو أن تجربتك لن تتم هنا يا عزيزي.

لم ينبِس حسام ببنت شفه، كل ما فعله هو أن لحق بهم وعلى شفتيه نفس الابتسامة الواثقة، ولسان حاله يقول:

- سنرى يا دكتور ياسين، سنرى.

الفصل الثاني

عندما اندفعت رغدة إلى حجرة العناية المركزة التي يستقر بها زوجها، كانت تتوقع رؤيته جالسًا بهدوء ومن حوله الممرضات وأحد الأطباء يبتسم بهدوء ويخبرها أنه قد عاد إلى وعيه، ومن الممكن أن يغادر المكان معها بكل هدوءٍ وسلام.

ولكن ما رأته كان مخالفًا لهذا تمامًا، فقد رأت خالد ينتفض في فراشه كمن تعرض لشحنة كهربية هائلة وعيناه شاخصتين، ومن فمه تخرج كمية كبيرة من الرغاوي البيضاء التي تثير الغثيان، ومن حوله التف فريقٌ من الممرضات وكل واحدة منهن تحاول إسعافه بقدر استطاعتها.

- ابتعدي.

دفعها الدكتور ياسين جانبًا وهو يلقي عليها كلمته السابقة قبل أن ينضم لطاقم الممرضات، فأمسك بذراع المريض بيمناه ثم نظر في عينيه بتركيز شديد و..

وهمدت حركة خالد فجأة!

فعلى نحوٍ مباغت؛ استقر جسده تمامًا في الفراش، ثم عادت كل معدلاته الحيوية إلى طبيعتها مرة أخرى وكأن شيئًا لم يكن.

زاغت عينا رغدة وتطلعت إلى ياسين بنظراتٍ حائرة، أعطت للسانها الإذن بالسؤال فقالت:

- هل مات؟

- لا، بل هي صحوة الموت.

التفتت رغدة نحو الدكتور حسام الذي أجاب سؤالها باعتدادٍ أثار غيظ صديق عمره ياسين، فعقد حاجبيه في ضيقٍ وأطلق زفرة حارة تدل على ما تعتمل به نفسه من تدخل حسام في شئونه، ثم نظر إليه نظرة عتاب قبل أن يهز رأسه ويقول مستسلمًا:

- هذا صحيح، فالمريض الذي يسقط في غيبوبة عميقة ثم يعود فجأة ويحدث له نفس ما حدث لزوجك نعتقد أنها صحوة ما قبل الموت.

تطلعت إليه بعينَين تسبحان في بحرٍ من الدموع وهي تغمغم: الأعمار بيد الله.

قال ياسين بتعاطف:

- ونعم بالله.

أشارت إلى خالد وقالت بأمل:

- ولكنه يتنفس بشكلٍ طبيعي، فلماذا تقولون ذلك؟

ابتسم ياسين ثم قال:

- هو يتنفس بشكلٍ طبيعيٍ فعلًا، وجميع معدَّلاته الحيوية تعمل بشكلٍ سليم، ولكن لو تكررت هذه الحالة التي كان عليها منذ قليل؛فقد تؤدي واحدة منها لتوقف القلب، والوفاة الفورية، لأن ضربات القلب في هذه اللحظة تصل لأكثر من ٥٠٠ ضربة في الدقيقة، ووقتها قد يحدث ارتخاء مفاجيء في عضلة القلب، ثم توقفه تمامًا عن العمل.

صمتت رغدة تمامًا وهي تستمع لكلمات ياسين، وعندما انتهى من حديثه؛ رفعت رأسها ثم أدارات عينيها في وجوه الحضور ثم توقفت كثيرًا عند عينَي زوجها اللتَين تظللهما جفنان ثقيلان، قبل أن تدير عينَيها إلى حسام حمدي وتقول في حزمٍ وبلهجة لا تحتمل

النقاش:

- دكتور حسام، أنا مستعدة لأداء التجربة.

ولم يعد هناك ما يقال بعد ما قالته!فقولها كان هو القول الفصل.

***

بكل توتر الدنيا تعلقت عينا رغدة بالجهاز غريب الشكل الذي يمسك به حسام بحرصٍ ثم رفعتهما إليه وهي تسأله بصوتٍ مبحوح:

- هل سأشعر بألم؟

ابتسم في وجهها ابتسامة مُطَمئِنة ثم قال:

- على قدر استعدادك النفسي ستشعرين بالألم.

ابتلعت ريقها وسألته مرة أخرى:

- لماذا لم تعطيني حقنة مخدرة كي لا أشعر بالألم؟

تكلم الدكتور ياسين في هذه اللحظة وهو يتلفَّت حول نفسه متوترًا:

- أسرع يا حسام ، فوالدي على وصول، ولقد وافقت على

فكرتك المجنونة من أجل صداقتنا دون علمه، فلو جاء الآن فلن يحدث طيب.

التفت إليه حسام ثم قال بهدوئه المعتاد:

- اطمَئِن، لن تستغرق العملية إلا خمس دقائق فقط.

ثم نظر إلى رغدة وقال:

- لا يمكن أن أعطيكِ حقنة مخدرة، فهي تُربك الجهاز العصبي قبل أن تسيطر عليه تمامًا وتجعله ملك يمينها، وهذا سيؤدي إلى فشل عملية النقل، كل ما أطلبه منكِ هو الاسترخاء والتفكير في أي شيءٍ بعيد عن التجربة وعن زوجك أيضًا، فكري في لحظات جميلة عشتيها في الماضي أثناء طفولتك مثلًا، أو أثناء دراستك الجامعية.

هزَّت رأسها موافقة ثم أسبلت عينيها وتراجعت في مقعدها، وهي تحاول جاهدة أن تبعد أفكارها عن هذه التجربة العجيبة، فأطلقت العنان لذاكرتها تستعيد أجمل لحظات شبابها وحياتها قبل أن تتزوج خالد، ولكنها _وعلى الرغم منها_ لم تجد لحظات سعادة كالتي عاشتها مع زوجها، فابتسمت على الرغم منها..

كيف يطلب منها ذلك الطبيب الغريب أن تتذكر لحظات سعادة بعيدًا عن خالد؟

كيف وهو صانع السعادة، هو من أنبت الفرحة في قلبها، وسقاها بالود والحنان، وأحاطها بالأمان طوال حياتها معه، حياتها التي ستفقدها بفقدها له..

ولكنها لن تسمح بحدوث هذا، لن تفقد نفسها بعد أن وجدتها..

لن تفقد الدنيا بعد أن أصبحت ملك يمينها..

لن تفقده، لن تفقد خالد.

وجدت نفسها تتمتم بهذه العبارة دون أن تشعر، ففتحت عينيها، وبكل حزم الدنيا أدارتهما إلى حسام وقالت:

- هيا يا دكتور، أنا مستعدة.

ظهر الإعجاب في عينَي حسام حمدي وهو ينظر إلى بريق ذلك العزم الذي انطلق من عينيها ليشعل الحماس في قلبه، فقال:

- أغلقي عينيكِ.

أغلقت عينيها ثم تنهدت وأسلمت أمرها لخالقها عز وجل..

أما حسام فقد ضغط على زرٍ صغيرٍ في جانب جهازه الذي يشبه القلم الحبر، فبرز منه سنٌ رفيعٌ جدًا طوله سنتيمتر واحد فقط، حاد جدًا..

أدخل السن ببطء في جزء معين من رأس خالد الساكن تمامًا، وكأن الأمر لا يعنيه، فتألَّقت دائرة صغيرة في مؤخرة القلم بضوءٍ أبيضٍ قوي، مالبث أن بدأ يخبو رويدًا رويدًا، حتى انطفأ تمامًا..

أخرج حسام الجهاز من رأس خالد، ثم تطلع إلى عدادٍ صغيرٍ في جانب القلم وغمغم:

- عشر ثوانٍ للتفريغ.

ختم عبارته بأن وضع سن الجهاز ببطء في رأس رغدة وفي موضع الذاكرة تمامًا، لتتألق الدائرة البيضاء مرة أخرى، قبل أن تبدأ عملية النقل..

انطفأ ضوء الدائرة البيضاء تمامًا، ثم انطلق صوتٌ معدنيٌ إلكتروني يقول برتابة:

- تمت عملية النقل بنجاح، زمن العملية عشرون ثانية.

ضغط حسام على رز صغير في الجهاز ثم وضعه في جيبه، ثم قال وهو ينظر إلى ياسين:

- تمت العملية بنجاح.

أشار ياسين إلى رغدة وقال وهو يتلفَّت حول نفسه:

- هل هي بخير؟.

جاءته الإجابة على لسان رغدة نفسها التي فتحت عينيها وقامت من مكانها ببطء وهي تتابع:

- أنا بخير، ولكنني أشعر بصداع رهيب، مطارقٌ قوية تضرب جدرانها بلا رحمة.

قال حسام بجدية وهو ينظر إليها وهي تقوم من مكانها بالفعل: هذا طبيعي، فأنت تحملين بداخلك حياة شخصٍ آخر.

ابتسمت بوهن ثم قالت:

- تعبير دقيق جدًا يا دكتور، ولكن السؤال الأهم الآن، ماذا سيحدث بعد ذلك؟

تكلَّم ياسين في هذه اللحظة قائلًا:

- أعتقد أننا لو تحدثنا في مكتبي سيكون ذلك أفضل للجميع.

وهناك في مكتبه أعادت رغدة سؤالها مرة أخرى على مسامع حسام، فتراجع في مقعده وقال:

- سيتواصل معكِ.

عقدت حاجبيها وقالت متسائلة:

- كيف هذا؟

أجابها وهو يلقي نظرة جانبية على ياسين الذي يترقب الإجابة بشغف أكثر من رغدة نفسها:

- في خلال دقائق سيزول الصداع من رأسك تمامًا، بعد ذلك سيتواصل خالد معكِ كما كان في حياته العادية، ما عدا التواصل الجسدي بالطبع.

سألته مرة أخرى:

- وذاكرته؟؟

فهم حسام ما ترمي إليه فأجابها وهو يبتسم ويغمز لها بعينه اليسري:

- هي لكِ، توغلي فيها كيفما تشاءين.

- وأسراره ستكون أمامي؟

ألقت سؤالها على مسامعه بصوتٍ خفيضٍ وهي تميل للأمام، فأجابها وهو يميل نحوها بدوره:

- جميعها ، منذ استهل في هذه الدنيا حتى لحظة وقوع الحادثة.

سأله ياسين في هذه اللحظة وحاجبيه معقودين بشدة:

- ولكن ألا يعتبر هذا خرق لأبسط قواعد الخصوصية؟

أجابه حسام بسؤالٍ حازم:

- وهل في بلدك قواعد أو قوانين للخصوصية؟

ثم استطرد وهو يلوح بذراعه:

- الجميع يتلصصون على بعضهم البعض بلا استئذان، أما نحن فعملنا هدفه خير، امرأة سقط زوجها في غيبوبة الله أعلم متى سيعود منها، وهي تريد أن تعيش باقي حياتها معه لا مع غيره، كل ما فعلناه هو أننا جعلناها تتواصل معه مرة أخرى، وبرِضاها وموافقتها.

هزت رغدة رأسها موافقة لكلام حسام ثم تابعت قائلة:

- نعم، كل شيء كان بموافقتي دون تدخل من أحد.

زمَّ ياسين شفتيه بعدم رضا وقلَبَ كفَّيه بقلة حيلة ثم أبعد نظره عنهما، فابتسم حسام وقال:

- اطمئن يا صديقي، لن يكون عليك أي مسئولية جنائية، فالسيدة رغدة ستنصرف الآن وستمارس حياتها بصورة طبيعية تمامًا، وأنا سأطمَئِنَّ عليها من حينٍ لآخر.

قامت رغدة من مكانها بالفعل وهي تنظر في ساعتها وتقول:

- لابد أن أنصرف الآن بالفعل، فأعصابي لم تعد تحتمل.

أعطاها حسام بطاقة صغيرة أنيقة وقال:

- في هذه البطاقة كل وسائل التواصل معي ، كلميني في أي وقت.

التقطتها من أصابعه ثم صافحته وصافحت ياسين قبل أن تغادر المكان، ولم تكد تغلق باب الحجرة وراءها حتى التفت ياسين إلى حسام وسأله:

- هل أنت متأكد من نجاح هذه التجربة؟

علت ابتسامة واثقة شفتَي حسام وهو يجيب صديقه قائلًا:

- مائة في المائة، صحيح أن خالد هو أول من أقوم بالتجربة عليه في مصر؛ ولكن معدلات الاستجابة عند رغدة كانت ممتازة أثناء نقل الذاكرة إليها، اطمئن.. ستسير الأمور على ما يُرام.

في نفس هذه اللحظة كانت رغدة تقف أمام زجاج نافذة العناية المركزة التي يستقر جسد زوجها على فراشها الوحيد، كانت تتطلع إلى جسده وتقول بصوتٍ خفيضٍ يملؤه الحزن والشجن:

- حبيبي، أنا آسفة، لم أملك غير هذا، لا أستطيع العيش دونك.

- (أعلم يا حبيبتي)..

دوَّت هذه العبارة في عقلها كرصاصة انطلقت في سكون الليل، فاتَّسعت عيناها عن آخرهما وأخذت تتلفت حولها كالتائهة قبل أن تقول بصوت مرتفع:

- خالد!! أهو أنت؟

أخذت تكرر سؤالها عدة مرات، فأجابها زوجها وضحكته تجلجل في رأسها:

- اخفضي صوتك يا عزيزتي، حتى لا يتهمك الناس بالجنون.

ابتسمت لعبارته وقالت بهمس:

حبيبي، أنت هنا بالفعل، لا يمكنك تخيل مدى سعادتي بعودتك إليَّ مرة أخرى.

تكلم خالد على الفور قائلًا:

- لنخرج من هنا أولًا، ثم نكمل حديثنا في المنزل.

أطاعته على الفور وغادرت المستشفى، ثم أشارت إلى إحدى سيارات الأجرة التي توقفت على الفور لتنطلق إلى منزلها.

وعلى الرصيف المقابل للمستشفى وضع رجل ضخم الجثة، عريض المنكبين هاتفه المحمول على أذنه ثم قال باقتضاب:

الهدف غادر المستشفى.

أجابه صوتٌ قوي:

- حسناً ، حان الوقت لنسترد بضاعتنا.

لم يعلق الرجل على عبارة صاحب الصوت القوي، بل أغلق الهاتف ثم أدار محرك سيارته وانطلق خلف الهدف..

خلف خالد رضوان..

***

دخلت رغدة من باب ڤيلتها بسرعة ثم أغلقت الباب خلفها بإحكام قبل أن تصعد إلى الطابق العلوي حيث حجرة نومها، ثم أشعلت ضوءها الخافت قبل أن تتدثر بأغطية الفراش وتقول:

- والآن، أخبرني يا حبيبي كيف حالك؟ لقد أوحشتني كثيرًا.

جاءها صوت خالد من داخل أعماقها هادئًا:

- أنا في خير حال يا عزيزتي، أنت أيضًا أوحشتني كثيرًا.

ثم صمت قليلًا قبل أن يستطرد:

- أنا في أأمن مكان في العالم.

ثم همس بحنان:

- أنا بداخلك يا حب العمر.

اغرورقت عيناها بالدموع عندما ترددت كلماته الحانية بداخلها ثم همست:

- أحبك يا خالد.

كانت تتوقع منه أن يبادلها هذه الكلمة البسيطة في حروفها، العميقة في تأثيرها ولكن كانت دهشتها عظيمة عندما همس

بحذر:

- احترسي يا رغدة، إنهم هنا.

انكمشت في فراشها أكثر وأكثر وهي تهمس سائلة بدورها:

- من هم؟؟

لم يُجِب سؤالها، بل قال على الفور وبلهجة آمرة:

ستنفذين كل ما سأقوله لكِ بالحرف.

هزَّت رأسها موافقة دون أن تتكلم، فتحدث هو قائلًا بحزم:

افتحي صيوان الملابس الخاص بي، ثم اضغطي على زر إضاءة المصباح الموجود في أعلاه سيضيء، كرري ماستفعلينه ثلاث مرات بسرعة سينفتح الجدار الموجود خلف الملابس، اختبئي بداخله ونفذي ما سأقوله لك.

تسمرت في مكانها أسفل غطاء الفراش، فصرخ داخل جدران عقلها قائلًا:

هيا، لا تضيعي الوقت.

انتفضت مع صرخته، ثم قفزت من فوق الفراش إلى صيوان ملابسه الكبير الذي يحتل الجدار الأيمن للحجرة بالكامل

وفتحته.. ثم نفذت ما أمرها به،سادَ صمتٌ أطبق على المكان كما يُطبِق الموت على النفس، قبل أن يتحرك الجدار خلف الملابس ببطء كاشفًا عن حجرة صغيرة جدًا،أسرعت إليها رغدة وهي تستمع إلى صوت خطواتٍ ثقيلة تقترب من باب الحجرة.

دخلت الغرفة ثم أغلقت الباب خلفها فانطفأ مصباح الصيوان في نفس اللحظة التي اشتعل فيها ضوء مصباح الغرفة التي تختبيء فيها، واشتعلت معها غريزة الخوف بأعماقها، فها هي على بعد خطواتٍ من شخصٍ لا تعرف عنه شيئًاسوى أنه يكمن لها الشر كما أخبرها زوجها، فانكمشت في أحد أركان الغرفة الفارغة من الأثاث تمامًا، أربعة جدران فقط، إحداها عبارة عن مرآة تغطي الجدار بالكامل، مرآة مزدوجة تبدو للعين عادية، إلا أنها تعكس لمن في المخبأ الصغير كل ما يحدث في حجرة النوم، على عكس الموجود في الحجرة،والذي يراها مرآة عادية تمامًا.

شاهدت رغدة من مخبأها الصغير رجلًا ضخم الجثة، نفس الرجل الذي تبعها من باب المستشفى حتى باب الڤيلَّا، وهو يتسلل إلى حجرة نومها ويفحص كل ركن فيها من الممكن أن

تختبىء فيه امرأة ناضجة مثلها، حتى توقف في النهاية أمام مرآة صيوان الملابس وتسمر أمامه لدقيقتين كاملتين سقط خلالهما قلب رغدة في قدميها.. لدرجة أنها همست لزوجها بكل رعب الدنيا:

- خالد، الرجل أمامي مباشرة، أنا خائفة، سيراني بالتأكيد..إنه..

- اصمتي يا رغدة.

كانت مقاطعته لها حازمة لا تحتمل النقاش، فأطاعته على الرغم منها وهي تتطلع إلى ملامح الرجل الواقف أمامها، والذي زاد على وقفته بدقيقة أخرى قبل أن يغادر حجرة نومها إلى خارج الغرفة.. لينتهي أثره من المكان في نفس اللحظة التي شعرت فيها رغدة بضيقٍ في التنفس واختناق.. فسألت خالد وأنفاسها تتلاحق:

- هل أخرج؟ لم أعد أستطيع التنفس.

أجابها على الفور:

- تحاملي يا عزيزتي، فالرجل ما زال في الشيلَّا.

أسندت رأسها على الحائط ثم فردت ساقيها أمامها وفكت أزرار قميصها بصعوبة وهي تحاول التماسك بإرادة حديدية، ولكن هيهات.. فاللحظات الخطرة القليلة التي عاشتها؛ رفعت منسوب الأدرينالين في دمائها إلى معدل كبير جدًا فاق ما يتحدث عنه الأطباء ويقررونه، فأطلقت شهقة عالية قبل أن يتهاوى جسدها تمامًا دون حراك.

ولكن يبدو أن شهقتها القوية قد تجاوزت جدران سجنها الصغير، إلى مسامع الرجل الذي كان يبحث عنها والذي أخبرها زوجها أنه لم يغادر المكان بعد..

فتحرك بحذر إلى داخل حجرة نومها مرة أخرى ثم إلى الصيوان مرة أخرى وكأنه يعرف هدفه بالضبط، فأخرج مسدسه من غمده وسحب أجزاءه ببطء، ثم فتح الصيوان وقطب حاجبيه وهو يزيح ملابس خالد ويضغط على زر الإضاءة لمرتين متتابعتين و..

أصبح على بعد ضغطة واحدة من الهدف..

من خالد رضوان.

الفصل الثالث

ضغطة واحدة على زر الإضاءة كانت تكفي ليجد الصياد فريسته.

ضغطة واحدة كانت ستعني النهاية..

نهاية رغدة وخالد..

ضغطة واحدة تعني اثنين لا ثالث لهما إما الموت أو الحياة..

ولكن القدر دائمًا ما يكون له الكلمة العليا في هذه المواقف، فبينما كانت المسافة بين أصابع الرجل وزر الإضاءة سنتيمترات قليلة انطلق صوتٌ قويٌ في أذنه قائلًا بحزم:

- چاك، انطلق إلى النقطة (ألف) لا وجود للهدف عندك.

تراجعت أصابع الرجل المدعو (چاك) ببطء لا تحمل إلا الهزيمة، قبل أن يغادر المكان بسرعة لينطلق إلى النقطة التي حددها له صاحب الصوت القوي.

وعلى الفور انطلق صوت خالد يدوي كمكبر الصوت المرتفع صوته لأعلى درجة داخل عقل رغدة التي كانت غائبة عن الوعي تمامًا، فعاود زوجها الصراخ بأعلى صوته:

- رغدة، استيقظي، أنتِ في آمانٍ الآن.

ولكنها لم تستجب، فقال خالد بصوتٍ حزين يملؤه الرجاء:

- أرجوكِ يا عزيزتي استيقظي، أستحلفك بحبنا، بكل اللحظات الحلوة التي قضيناها معًا، استيقظي عودي إلى عالمك وعالمي.

اهتزت رموشها ببطء ثم فتحت عينيها بصعوبة، لقد استجاب قلبها لندائه فأمر جهازها العصبي أن يُحرك رموشها وعينيها ويُعيد لأطرافها الحياة مرة أخرى.

التقطت نفسًا عميقًا أعاد الروح مرة أخرى إلى خلايا جهازها التنفسي الذي عاش لحظات ظمأ رهيبة، فتحاملت على نفسها وقامت من مكانها وصوت خالد يقول بفرح داخلها:

- حمدًا لله، حمدًا لله.

اتجهت إلى باب الحجرة الصغير ودفعته ببطء في نفس اللحظة التي كان يجلس فيها رجل آخر غير چاك داخل سيارة من سيارات الچيب القوية تبعد مسافة مائة متر عن الڤيلَّا ويراقب كل ما يتحرك داخلها بمنظار خاص بالرؤية الليلية للآشعة تحت

الحمراء، وعندما خرجت رغدة من مخبئها وظهر ظلها باللون الأحمر داخل المنظار، تكلم الرجل بصوت أجش:

الهدف مازال داخل الحجرة، يبدو أنك فشلت هذه المرة يا چاك.

عقد چاك حاجبيه في غضب قبل أن يقول:

- لقد جاءتني أوامر بالمغادرة و..

قاطعه الرجل قائلًا بأمر مباشر إلى رجلٍ آخر يجلس بجانب چاك ويضع على فخذيه بندقية قنص حديثة:

- دومينو، نفذ.

وعلى الفور، ودون إضاعة لحظة واحدة بعد الأمر المباشر، رفع دومينو البندقية ونظر بترقب واهتمام يدل على براعته داخل منظارها المقرب والمخترق للجدران إلى رغدة التي جلست على حافة الفراش، وضغطت سبابته على الزناد لتنطلق الرصاصة القاتلة نحو رغدة التي رفعت رأسها ونظرت في اتجاة السيارة، ولكن رصاصة دومينو كانت أسرع، فأصابت الهدف وبمنتهى الدقة!

****

اشتهر دومينو بين أقرانه بدقة إصابته المذهلة للهدف، والتي نسبة الخطأ فيها تكاد تكون صفرًا في المائة بلا منازع، فهو واحد من أشهر ثلاثة قناصين في الوحدات المقاتلة في الجيش الأمريكي..

حيث يستطيع إصابة ذبابة تقف على أنف طفل صغير مبتسم من على بُعد مائة متر،محتفظًا بابتسامته في نفس الوقت.

وبالفعل حافظ على شهرته في هذه اللحظة وأصاب الهدف بمنتهى الدقة..

ولكن الهدف لم يكن رغدة..

لقد كان أحد رجال أمن المنطقة الذي أثار انتباهه وجود هذه السيارة الغريبة التي ظلَّت واقفة في مكانها لفترة كبيرة، فتوجه إليها وبكل حزم وقف أمام أحد نوافذها الجانبية وأدخل رأسه منها وهو يقول:

- من أنتم ؟ و..

انتبه الرجال إلى رجل الأمن فاستداروا إليه بسرعة ولكن دومينو كان الأسرع والأكثر انفعالًا، فأدار فوهة بندقيته نحو حارس الأمن وأطلق رصاصته القاتلة التي استقرت في منتصف جبهته

تمامًا، فاتسعت عيناه من فرط الذهول والألم ودون حتى أن يجد الفرصة ليطلق صرخة ألم تعبر عما تشعر به خلاياه، سقط جثة هامدة غابت عنها كل معالم الحياة.

فعقد الرجل الجالس في المقعد الأمامي حاجبيه وقال بصرامة:

- ماذا فعلت؟ستثير غضب باقي رجال الأمن في المنطقة.

أجابه دومينو ببرود وهو يصوب بندقيته مرة أخرى إلى رغدة وهو يلتقط نفسًا عميقًا:

- اطمئن يا عزيزي فرانسوا، فضغطة واحدة ستنهي كل شيء ثم نعود لنتناول طعام العشاء و..

وصمت الرجل، فرفع فرانسوا نظارته المقربة إلى عينيه وهو يقول:

- ماذا حدث؟

أجابه چاك ضاحكًا بسخرية وهو يشير إلى جسم بشري يعدو بأقصى سرعته بعد أن خرج من باب جانبي للقيلًا:

- يبدو أن الهدف قد مَلَّ من كثرة الانتظار يا عزيزي دومينو، فقرر مغادرة المكان حتى إشعارٍ آخر.

لم يُعلق أحد على عبارة چاك الساخرة، كل ما فعله فرانسوا هو أن أدار محرك السيارة وانطلق خلف رغدة في نفس الوقت الذي وضع فيه دومينو بندقيته على فخذيه وعقد حاجبيه في صرامة وغضب شديدَين، فهذه هي المرة الأولى في حياته التي يفر فيها منه الهدف بعد أن كان بين يديه..

- أول مرة..وستكون الأخيرة.

***

-اهربي يا رغدة.

لم يكد صوت خالد ينطلق داخل عقل زوجته؛ حتى انعكس ضوء عمود الإنارة الفوسفوري على عدسة بندقية دومينو قبل أن تلمحه عينيها فتنطلق لتنفيذ أمر زوجها، لقد كان أمرًا مباشرًا وجهه إليها فأطاعته دون أن تسأل إلى أين تهرب؟ فقرأ سؤالها الذي بدا واضحًا وضوح الشمس داخل عقلها فأجاب على الفور:

- انطلقي إلى المرآب واركبي السيارة البورش بسرعة.

انطلقت إلى المطبخ وفتحت بابه بسرعة ثم إلى حديقة الڤيلَّا ومنها إلى المرآب، ركبت السيارة البورش ثم انطلقت بها إلى الشارع وهي تضغط دواسة الوقود بكل قوتها.

ما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى لمحت سيارة الرجال الثلاثة وهي تنطلق خلفها بإصرار، راوغت سيارتهم بكل مهارة، فرفع فرانسوا حاجبه الأيسر بإعجاب ثم قال:

- رائع، يبدو أن خالد ازدادت مهارته قبل الحادثة.

ثم صمت قليلًا قبل أن يتابع بهدوء:

- چاك، فلنرى رد فعل صديقنا العزيز عند استعادة مشهد من الماضي.

وضع جاك سبابته على أذنه اليمنى وضغط على جهاز صغير موضوع بعناية داخلها، فتكونت أمامه صورة هولوجرافية للطريق وسيارة رغدة تنطلق أمامه بسرعة الصاروخ، تحركت أصابعه بسرعة لتُحرك شيئًا ما من بين الاشجار الممتدة على جانبي الطريق قبل أن يفرقع بإصبعيه وعلى شفتيه تكونت ابتسامة شرسة..

أما رغدة؛ فقد أطلقت العنان لسيارتها، كان هدفها هو الخروج إلى الشارع الرئيسي لتتجه إلى أقرب قسم شرطة اتباعًا لأوامر خالد، ولقد رقص قلبها طربًا عندما لاحت لها أضواء الطريق الرئيسي، فزادت من الضغط على دواسة البنزين وعيناها تتطلع إلى عداد السرعة التي تجاوزت المائة كيلومتر في الساعة، وعندما رفعت عينيها مرة أخرى إلى الطريق اصطدمت بأكبر كابوس في حياتها، كابوس قاتل..

- سيارة ڤان كبيرة الحجم أغلقت الطريق أمامها عندما خرجت بسرعة متوسطة من جانب الأشجار وعلى مسافة عشرين متر فقط..

وبلا سائق..

زاغت عينا رغدة أمام هذا الموقف الرهيب، ولم يعُد هناك مفر من القادم الجديد..من الموت

***

أعاد مشهد السيارة الثان العملاقة لرغدة ذكرى الحادث الأليم الذي حدث لها ولخالد، والذي على أثره تعرضت للعديد من المواقف الحرجة والخطيرة، بل والمميتة أيضًا..

وبينما يبتسم الرجال الثلاثة داخل السيارة التي تطاردها بعد أن أصبحت فريستهم بين شقي الرحى، وليس أمامها أي سبيل للنجاة، انطلق صوت خالد في عقلها كرصاصة انطلقت في جوف الليل فأيقظت قبيلة من النيام وهو يصرخ:

- اضغطي على دواسة البنزين بقوة.

وبسرعة رد فعل رائعة نفذت الأمر الذي انطلق يضرب رأسها من الداخل، لتنطلق السيارة بسرعة مضاعفة وتعبر أسفل صندوق الثان العملاق، ومع السرعة الكبيرة انفصل سقف البورش عن جسمها من قوة الصدمة، ولكنها في النهاية أفلتت من الفخ القاتل، مما زاد من سخط وغضب فرانسوا وفريقه الصغير، وعندما تحركت الثان مبتعدة عن الطريق؛ انطلق فريق القتلة خلف رغدة التي ظهرت أضواء سيارتها أمامهم بوضوح..

في نفس اللحظة ارتفع صوت سارينة إحدى سيارات الشرطة الدورية وقائدها يأمر فرانسوا ورفاقه بالتوقف على جانب الطريق، ولكن فريق القتلة الصغير لم يكونوا على استعداد لإضاعة ثانية واحدة مع رجال الشرطة وترك الهدف يفر من بين أيديهم، لذلك فقد أشار فرانسوا لدومينو إشارة ذات مغزى، فرفع القاتل المحترف بندقيته القوية وصوبها نحو رأس ضابط الشرطة الذي يجلس بجوار السائق وأطلق الرصاص، ومع ظهور ثقبٍ ثالثٍ صغير بين عيني الضابط المسكين والذي تدفقت منه الدماء بغزارة، حاول السائق أن يلتقط مسدسه، ولكن لاحقته رصاصات چاك لتخترق صدره بلا رحمة.. وعندما انطلقت السيارة مرة أخرى لتلحق برغدة؛ لم يعد لها أي أثر..

كل هذه الأحداث ظهرت بوضوح على شاشة ضخمة تحتل نصف حائط حجرة أنيقة خالية من الأثاث إلا من مقعد ضخم يجلس عليه رجلٌ في العقد السادس من العمر، له ملامح آسيوية واضحة، له جسد ممشوق القوام على الرغم من سنوات عمره

العديدة، كان يبتسم بهدوء وكأنه يشاهد أحد الأفلام الهزلية..

تحدث الرجل قائلًا بلهجة آمرة:

- فريق بيتا يتحرك.

وعلى الفور انطلقت ست دراجات بخارية من نقطة قريبة من ڤيلَّا خالد ورغدة نحو النقطة التي تم تحديدها لهم بدقة متناهية نحو سيارة رغدة وخالد، في حين انطلق فريق فرانسوا نحو نقطة أخرى تم تحديدها بدقة هي الأخرى..

نقطة بدت بعيدة جدًا عن مكان سيارة الهدف..

أما الرجل الوقور؛ فقد تراجع في مقعده وعلت شفتيه ابتسامة غامضة وشرسة!

***

الفصل الرابع

من المؤكد أن ما تعرضت له رغدة طوال الساعات المنصرمة يثير الرعب في قلوب أشد الرجال قوة وبأس، ولكن وجود زوجها معها كان بمثابة الغطاء في ليالي الشتاء قارصة البرودة، فقد كان خالد يوجهها لكل خطوة تقوم بها ويرشدها إلى طريق النجاة، فبينما هي تنطلق بأقصى سرعة تسمح بها محركات البورش الرياضية؛ انطلقت خلفها ست دراجات بخارية قوية تنهب الأرض نهبًا للحاق بها، وبالفعل ظهرت سيارتها واضحة في عيون قائدي الدراجات، فزادوا من سرعة محركات الماكينات القوية حتى أصبحوا على بُعد أمتار قليلة من رغدة التي انطلق صوت خالد داخلها يقول بلهجة آمرة:

- انحرفي للطريق المعاكس.

وعلى الفور ودون إضاعة ثانية واحدة؛ انحرفت رغدة بالسيارة فجأة للطريق المعاكس قبل أن تنطلق مرة أخرى في الطريق الطويل..

أربكت مبادرتها فريق الدراجات البخارية، ولكن ما فعلوه

لاحقًا أثبت أنهم محترفون بحق، فقد رفع قائدهم ذراعه الأيسر لأعلى ثم أشار إلى سيارة الهدف، فأدار كل واحد منهم مقوِّد دراجته ثم انطلقوا وراء رغدة التي شحذت جميع حواسها في التركيز على الطريق الذي تنيره خلايا ضوئية على جانبيه لتحوله إلى قطعة من النهار الوضاح..

- لا تتوقفي، لو أمسكوا بكِ ستنتهي حياتك.

عبر صوت خالد خلايا مخها فعقدت حاجبيها وقالت بحزم صارم:

أريد أن أفهم ما الذي يحدث، أخبرني وإلا أوقفت السيارة وتركت نفسي لهم لعلي أجد عندهم أجوبة لأسئلتي.

تكلم خالد بصرامة مماثلة:

- حذاري من أي تصرف أهوج يا رغدة، أنتِ لا تعرفين ما الذي سيحدث إذا فعلتِ ما تقولين.

تكلمت بفراغ صبر قائلة:

- ما الذي سيحدث لي أكثر مما أنا فيه.

لم يتكلم خالد.. فساد صمتٌ كصمتِ القبور في عقلها، مما زاد من سخطها فضغطت مكابح سيارتها بالفعل، فانطلق صوت زوجها يصرخ:

- احترسي.

وقبل أن تتخذ أي احتياط اندفعت سيارة فرانسوا فجأة من جانب الطريق وكأنها نبتت من العدم، لتنقض على جانب سيارتها وتطيح بها على جانب الطريق..

كانت الصدمة قوية لم تحتملها البورش فانقلبت عدة مرات قبل أن تتوقف على الطريق المعاكس لا حول لها ولا قوة..

خرج فرانسوا ورفاقه من سيارتهم واندفعوا نحو سيارة رغدة في نفس اللحظة التي وصل فيها فريق بيتا بدراجاتهم النارية ليلحقوا برفاقهم نحو الهدف..

وبينما تُجاهد رغدة للخروج من السيارة التي كان لحزام الأمان بها الفضل الأول في نجاتها من الصدمة، انعكست أضواء شاحنة عملاقة آتية من الجهة المعاكسة على وجه رغدة التي خدعها

الموت بالنجاة قبل أن يُعد لها ميتة تليق بها..السحق تحت العجلات!

***

ها هو ذا يرفرف بجناحيه في المكان..

يعلن أنه على موعد مع روحٍ جديدة آن لها أن تهبط من قطار الحياة عندما لاحت محطتها في الأفق..

سيرحل وهو راضٍ عن نفسه..

راضٍ عن صنيعته، فمهمته ستتم الآن..

نظر إلى الموقف بعينين ثاقبتين ثم ابتسم وهو يتأمل الشخوص الذين يتواجدون على خشبة مسرح الحياة..

الجميع بما فيهم هو كانوا يتطلعون إلى البطلة التي تؤدي أفضل أدوارها أمام أعينهم الذاهلة..

والحقُّ يُقال أنها كانت بارعة لأبعد الحدود، لقد تفوقت على نفسها بحق هذه المرة..

فبينما كان بينها وبين عجلات السيارة العملاقة بضعة أمتار، إذا بها تضرب مقبض حزام الآمان بكل قوتها لتنتزعه من مكانه

بعنف قبل أن تتدحرج على الأرض وبينها وبين العجلات القاتلة سنتيمترات قليلة، قطعتها السيارة في ثانية واحدة وهي تدفع أمامها ما تبقى من سيارة رغدة التي أصبحت كتلة من الحديد مجهولة المعالم.

وبينما هي تلهث في مكانها بعد هذا المجهود الرهيب الذي بذلته في الثواني الفائتة، إذا بفرانسوا وفريقه ومعهم فريق الدراجات البخارية يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم ويعلنون هزيمتها.. ابتسمت في وهنٍ ثم استلقت على ظهره فاقدة للوعي وصوت خالد يصرخ بداخلها قائلًا:

- لا يا رغدة، لا تستسلمي.

ولكن هيهات لقد ذهب عقلها إلى منطقة الاستراحة من العناء.. منطقة اللاوعي.

عاد إليها وعيها دفعة واحدة وكأنها لم تغِب عن الواقع أبدًا، حاولت أن تفتح عينيها ولكنها شعرت وكأن عليهما أكياسًا من الرمل المبلل بالماء، في نفس اللحظة التي تسلل إليها صوت خالد

هامسًا:

-لا تفتحي عينيكِ، واستمعي جيدًا لما حولك.

ولكن تحذيره راح سُدى عندما سمعت صوت رفيع حاد يقول بثقة:

-لقد استعادت وعيها.

سمعت صوت خطوات ثقيلة تقترب منها ثم وجدت من يفتح جفنيها بقوة ويسلط على بؤبؤ عينيها ضوءًا قويًا، فتحركت حدقتها وضاقت فتحة حدقتها على الرغم منها، فتركها صاحب الكفَّين القويين فعادت تفتح عينيها ببطء وتستكشف المكان لأول مرة..

كانت توجد في حجرة مربعة، تمتلىء حوائطها بالعديد من الشاشات التي تنقل أحداث عابرة من كل دول العالم، ولكن ما أثار انتباهها هو رؤيتها لنفسها في جميع الشاشات وفي كل البلدان بعدة صور مختلفة، مرة وجدت نفسها جاسوسة إسرائيلية تطاردها مجموعة من السيارات المختلفة فيها رجال يطلقون عليها النيران بغزارة وهي تراوغهم وتنتصر عليهم..

ومرة وجدت نفسها مقاتلة صينية تقاتل بكل شراسة أحد رهبان معبد شاولين وتنتصر عليه وسط ثلوج كثيفة تحيط بهم من كل مكان..

ومرة وهي تحمل طفل صغير بين يديها بحنان وتُلقمه ثديها وهي تمسح على شعره بهدوء، وخالد يقف بجانبها يربت على كتفها بكل حنان الدنيا وهو يبتسم..

ثم مشهد لخلايا حية تنقسم انقسامات سريعة ومتتالية..

أما ما أثار انتباهها هو ما وجدته في الشاشة الضخمة التي تحتل وحدها حائطًا بأكمله، لقد كانت الشاشة تعرض أمامها كل لحظات حياتها لحظة بلحظة من وقت مولدها مرورًا بحياتها وهي طفلة ثم فتاة ثم شابة ثم دراستها في المراحل المختلفة ونهايتها منها، ثم لقاءها بخالد وزواجها منه ثم الحادثة التي تعرضوا لها ووقوعه في الغيبوبة، ثم وصفًا تفصيليًا لكل الأحداث التي مرت بها منذ خروجها من المستشفى التي يرقد بها جسد زوجها خالد.

لم تستطِع أن تربط بين كل هذه الأحداث وبين موقفها الحالي؛ فهزت رأسها بقوة ثم تطلعت إلى الرجل الذي فتح جفنيها منذ لحظات فوجدته واقفًا كتمثال من الشمع دون حراك، فتمتمت قائلة:

-أين أنا؟ وما الذي يحدث؟

-لا ترهقي نفسك يا عزيزتي، فعقلك مهما كانت قدراته لن يصل لحقيقة ما تراه عينيكِ.

التفتت إلى مصدر الصوت بسرعة قبل أن تتسع عيناها وهي تموج بدهشة عارمة، فما رأته في الثانية التالية كان شيئًا غريبًا.. بل هو أغرب شيء رأته في حياتهاعلى الإطلاق!

***

كان لظهور دكتور حسام حمدي في المكان وقع الصاعقة على رغدة التي لم تكن تتوقع أن تراه مرة أخرى بعد لقائها به في المستشفى، وزادت دهشتها عبارته الغامضة التي ألقاها قبل أن يتقدم بخطوات واثقة ويقف أمامها مباشرة، فبادرته قائلة:

- ما الذي يحدث يا دكتور؟

سحب مقعدًا شاغرًا ثم جلس أمامها وعقد ساعديه أمام صدره وقال وعلى شفتيه نفس الابتسامة الواثقة التي تبعث على الملل:

- مبارك يا عزيزتي، لقد نجحتِ في الاختبار، وستنجح بكِ التجربة.

عقدت حاجبيها متسائلة قبل أن تقول:

- أي تجربة؟

ظلَّت ابتسامته ترفرف على شفتيه دون أن يجيبها، فتابعت بسؤال آخر قائلة:

- هل تقصد تجربة نقل الذاكرة؟

- (بل هو يقصد تجربة الإيحاء).

التفتت إلى صاحب العبارة لتجد أمامها على الشاشة الضخمة أمامها مباشرة الرجل الآسيوي الذي ألقى أوامره السابقة بالإيقاع بها..

كان يجلس على مقعدٍ ضخم وخلفه لوحة عملاقة لجميع الحروب التي خاضتها البشرية ولكن بشكل متداخل يحتاج للتركيز الشديد لفصل وتحديد المعارك عن بعضها البعض..

تابع الرجل حديثه قائلًا وهو يتراجع في مقعده:

- أولًا أحب أن أعرفك بنفسي، أنا دكتور (دوماسومي) أحد أهم علماء ما وراء الطبيعة في العالم أجمع.

كان الرجل يتحدث باللغة اليابانية ولكن رغدة كانت تسمعه وتفهم كلامه جيدًا، عن طريق مترجم فوري موجود في الشاشة التي أمامها..

عقدت حاجبيها أكثر وهي تستمع إليه ثم رددت بصوتٍ خافت:

- الإيحاء! ما وراء الطبيعة!

وعلى الرغم من أنها تكلمت بصوتٍ خفيض جدًا؛ إلا أن دوماسومي هزَّ رأسه ثم قال:

- نعم، تجربة الإيحاء، أحد أهم تجارب العصر، والتي اختاركم الحاسب الآلي المتطور لخوضها.

هزت رأسها بقوة ثم قالت:

- أنا لا أفهم شيء مما تقول.

تنحنح حسام في هذه اللحظة وقال:

- سأخبرك بكل شيء يا أستاذة رغدة.

التفتت إليه وحدجته بنظرة صارمة قبل أن تقول:

- كلي آذان صاغية، و.. وأخبرها.

***

هل تعلمين الفرق بين الوعي واللاوعي؟

ألقى حسام سؤاله وهو يتطلع إلى رغدة باهتمام فهزَّت كتفيها وقالت باقتضاب:

- لا.

ابتسم ابتسامته المعهودة ثم قال وهو يتحرك في المكان: الفرق شاسع يا عزيزتي، فاللاوعي هو الصخب الذي نعيش فيه، أما الوعي فهو الهدوء والسلام النفسي.

ازدادت ابتسامته اتساعًا عندما رأى في عينيها أنها لم تفهم أي كلمة مما يقول، فتابع وهو يسحب مقعد ويجلس أمامها مباشرة: منذ أن يفتح الإنسان عينيه كل صباح وحتى يغلقهما ليلًا وهو يعيش في صراع بين الوعي واللاوعي يحاول أحدهما أن يتغلب

على الآخر، ولأن اللاوعي له نصيب الأسد من كياننا فهو الغالب دائمًا.

التقط أنفاسه ثم أكمل حديثه:

أحاديث الغير، الهواتف المحمولة، أجهزة التلفاز ووسائل الإعلام، المشاكل التي يعيش فيها بني آدم ليل نهار تأخذ حقها من اللاوعي، وحينما يحاول الوعي أن يتنفس ليضعنا في حالة من الهدوء بعيدًا عن المشاكل والصراع اليومي، ينقض عليه اللاوعي ليفتك به ويعيده مرة أخرى لمكنونه.

-ما دخل حديثك بما يحدث لي؟

أجابها وهو يشير بسبابته إلى الشاشة العملاقة التي اختفت صورة الرجل الآسيوي من عليها لتظهر صورة خالد الراقد على فراشه في المستشفى:

تقصدين ما حدث لكِ ولزوجك.

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تتطلع إلى زوجها قبل أن تهز رأسها في أسى، فتابع حسام قائلًا:

لقد تعرض خالد لنفس التجربة، تجربة الوعي واللاوعي ولكن البداية لم تكن هنا بل كانت في اليابان.

لم يكد ينهي عبارته حتى ظهر خالد على الشاشة العملاقة وهو يخوض صراعات عنيفة في أماكن شتَّى في اليابان، مشاهد إطلاق نيران، سيارات تنفجر، مبانٍ تُهدم، وغيرها من المشاهد التي توضح أن الرجل تعرض لأهوال يشيب لها الولدان، قبل أن يتوقف المشهد ويتحول إلى القاهرة وحسام يواصل حديثه قائلًا: ثم كانت المرحلة الثانية هنا..

ظهر خالد وهو يتحدث مع رغدة في عدة مشاهد، حتى جاء مشهد السفر إلى جزر المالديف والحادثة البشعة التي تعرضوا لها، والتي أصبح عليأثرها طريح الفراش أسير غيبوبة لا يعلم الله متى يستيقظ منها.

اتسعت عينا رغدة عن آخرهما وهي تلتفت إلى حسام الذي هز رأسه موافقًا وقال:

- نعم يا عزيزتي، كل شيء كان مُعَدًّا من البداية، وستكملين التجربة للنهاية.

ثم اقترب منها حتى لفحت أنفاسه العطرة وجهها وهو يقول وعلى شفتيه أكثر الابتسامات لزوجة:

- وعلى الرغم منك.

***

تركها حسام قبل أن يقول وهو يشير إلى الشاشة العملاقة:

- تابعي هذا الفيلم القصير وستفهمين كل شيء، وسأعود إليكِ بعد قليل لتشاهدي فيلمًا آخر هو الأروع على الإطلاق.

تابعت خطواته وهو يغادرها ويغلق الباب خلفه بهدوء في نفس اللحظة التي بدأت الشاشة الكبيرة في عرض نفس الفيلم الذي شاهدته أول دخولها للقاعة، ولكن مع صوت يشرح كل جزء فيه ويقول بلهجة مشوقة:

- منذ حدوث عملية الإخصاب وحتى نفخ الروح في الأجِنَّة، وطوال حياة الإنسان داخل رحم أمه وهو يشعر بكل ما تشعر به أمه من توتر وتعب وإرهاق، حتى فرحها وحزنها، وعندما يولد؛ يتكون اللاوعي ليحيطه من جميع الجوانب فلا يسمع إلا صوت أمه في البداية، ثم يبدأ في التعايش مع من حوله، ويزداد

اللاوعي في الضغط عليه، لذلك يخلد الصغار لساعات نوم طويلة.

كان الصوت يخرج من مصدر خفي في المكان ولكنه يتغلغل داخل كيان رغدة وكأنه صوت ضميرها، فزادت من قوة تركيزها وهي تتابع الفيلم بكل شغف ولهفة.. فتابع صاحب الصوت والمشاهد توضح تطور الإنسان في مجموعة مختلفة من الحقب الزمنية، ثم ظهرت هي علي الشاشة تقاتل من أجل الحياة الحياة ما هي إلا صراعًا داميًا، نفقد فيه الكثير من أجل القليل.

توقف الصوت فجأة وثبتت صورتها على الشاشة وهي تمسك أحد سيوف الساموراي والدماء تغطيها من رأسها وحتى أخمص قدميها.

ما أن توقف الفيلم حتى دخل حسام إلى الحجرة ووقف أمام رغدة كتمثال من الشمع لنصف دقيقة كاملة قبل أن يقول بهدئه المستفز:

- هل أعجبك الفيلم؟

أجابته قائلة:

- مخيف.

تحرك نحوها ثم صفق بكفَّيه ليبدأ على الفور عرض فيلم آخر قطعه صوت حسام قائلًا:

- أعتقد أن هذا الفيلم سيعجبك أكثر.

وفي هذه المرة جلس بجانبها ليشاهد معها البداية التي وضع خطوطها العريضة بنفسه!

***

الفصل الخامس

-(مبارك فوزكم بالمتعة المطلقة)

زمَّ خالد شفتيه وهو يقرأ العبارة الأنيقة المكتوبة على البطاقة الصغيرة التي وصلت إليه مع البريد اليومي في شركته الشهيرة بالعاصمة اليابانية طوكيو، عقد حاجبيه وهو يتطلع إلى النسر المحلق المرسوم بدقة في الجزء العلوي منها وتحته كلمة باللغة اليابانية معناها المتعة المطلقة، قرأ العنوان ورقم الهاتف المذيل بآخرها، ثم وضعها في جيب سترته وواصل عمله بعد أن ألقى أمر العبارة المكتوبة في غياهب عقله.

واصل عمله، وعندما انتصف النهار؛ طلب من سكرتيرته الحسناء إنهاء بعض الأمور الهامة.. ثم ذهب إلى منزله القابع في الطابق الأخير من أعلى ناطحة سحاب هناك.

خلع ملابسه ثم أخذ حمامًا دافئًا قبل أن يتصل برغدة ليطمئن عليها.. ثم داعبها بعبارة ينبعث من حروفها عبير الحب، أغلق الهاتف ثم ابتسم بحنان و..وتذكر البطاقة الصغيرة..

التقط سترته ثم عبث بجيبها العلوي حتى وجد ضالته، فالتقط هاتفه الجوَّال وطلب الرقم الوحيد الموجود بها، تنفس بعمق وهو يستمع إلى صوت رنين جرس الهاتف من الناحية الأخرى، قبل أن ينطلق صوت أنثوي آلي يقول برتابة نفس العبارة المكتوبة على البطاقة قبل أن تتابع:

-موعدك غدًا في الثانية عشر ظهراً، لا تتأخر.. فالقادم أروع.

قالت العبارة ثم ألقت على مسامعه بالعنوان قبل أن ينغلق الخط تلقائيًا، أبعد الهاتف عن أذنه ثم حدق فيه بدهشة وهو يضعه على المنضدة الصغيرة بحانب الفراش، وعندما آوى إلى فِراشه؛ لم تغفل عينيه.. فقد انطلق عقله إلى هناك.. إلى حيث المتعة

***

توقفت سيارة خالد أمام مبنى ضخم في إحدى ضواحي مدينة طوكيو، يحمل نفس الشعار الذي كان على البطاقة الصغيرة، وبجانب الشعار الضخم كانت الكلمة التي أتت بخالد لهذا المكان (المتعة).

اقترب من بوابة المبنى الإلكترونية المُصمَتة كجلمودِ صخرٍ مجهول الهوية، حاول دفع البوابة بيده عدة مرات دون جدوى، فهزَّ كتفيه وأدار ظهره لها عاقدًا العزم على الرحيل لينطلق صوتٌ أنثوي إلكتروني يقول ببرود:

- مرحبًا بك في عالم التانوشي.

وعلى الفور تحرك الباب ببطء ليكشف عن ممر طويل من الرخام مضاء بضوء أزرق باهت.

عبر خالد الباب بحذر وسار الهوينَى في الممر الطويل قبل أن يقول الصوت الإلكتروني مرة أخرى وبلهجة آمرة:

- توقف.

أطاع خالد الأمر على الفور، وتجمد في مكانه وما هي إلا ثوانٍ ثلاث حتى هبطت به قطعة الرخام الواقف عليها ببطء إلى مسافة خمسة أمتار تحت الأرض، وعندما توقفت تغير لون الممر إلى اللون الأحمر، لتتحدث صاحبة الصوت الإلكتروني قائلة: خمسُ ثوانٍ قبل اللقاء.

دارت عينا خالد في جميع الاتجاهات من حوله في رهبة وخوف، فالمكان من حوله ليس به أي بشري يمكن أن يتحدث إليه، أو حتى يفهم منه ما يحدث أو يجيبه عن بحر الأسئلة التي يسبح فيها عقله دون الوصول إلى شاطىء الإجابات.

- مرحبًا سيد خالد..

التفت خالد إلى مصدر الصوت، ليجد أمامه رجل متين البنيان في أواخر العقد الرابع، له ملامح يابانية أصيلة، يعلو رأسه شعرٌ ناعمٌ أسود طويل كشلَّال من الحرير ينسدل على ظهره، يرتدي حُلة زرقاء داكنة وتحتها قميص أبيض ناصع، ويلف عنقه برابطة عنق زهرية اللون .

- ما الذي يحدث؟ وأين أنا؟

بادره خالد بهذين السؤالين بتوتر ملحوظ، فابتسم الرجل وقال باللغة العربية الفصحى:

- دعني أعرفك بنفسي أولًا، اسمي سيكامورا، وسأتحدث إليك باللغة العربية التي أجيدها افضل مما تجيد أنت التحدث باللغة اليابانية.

تعلقت عينا خالد بشفتي الرجل مترقبًا إجابته على أسئلته، فلاحظ الرجل ذلك فقال على الفور:

- أنت في مركز إعطاء التانوشي بلاحدود، لقد وقع اختيار الحاسب الذكي عليك لتجربة التانوشي الرائعة، وبمجرد قراءتك للبطاقة الصغيرة التي أرسلناها إليك؛أصبحت على أبواب المتعة، وبمجرد أيضًا وصولك إلى هنا؛ فقد دخلت اللعبة بقدميك.

صمت الرجل ليلتقط أنفاسه فتكلم خالد قائلًا:

- أنا لا أُنكر أن إرسالكم للبطاقة كان داعيًا للتساؤل، ولأنني مغامرٌبطبعي؛ فقد قررت بالفعل المجيء إلى هنا لمعرفة الكثير عن شركتكم وللبحث عن المتعة.

سأله الرجل وهو يشير إليه أن يتبعه إلى حجرة جانبية لها مقبض من نفس لون الحائط الأحمر الناري:

- سيد خالد، ما هي المتعة من وجهة نظرك؟

أجابه خالد وهو يزم شفتيه:

- أن أفعل كل ما أحبه، دون عواقب.

حدَّق الرجل في وجه خالد لعدة ثواني، ثم أطلق ضحكة عالية ساخرة قبل أن يقول:

- هل هذا هو تصورك عن المتعة يا عزيزي؟

هزَّ خالد كتفيه دون أن يجيب، فأشار إليه سيكامورا بالجلوس على مقعد بجانب مكتب بيضاوي الشكل من الزجاج الخالص، ثم جلس خلف المكتب وهو يقول:

- تختلف المتعة من شخص لآخر، فهناك من يرى متعته في تناول الطعام بكافة أصنافه وأنواعه اللذيذة بل ويتفنن في طبخه وتجهيزه، وهناك من يراها في النساء، في وجوههن وأجسادهن، وكيف هن في الفراش، ناهيك عن شارب الخمر، ولاعب القمار وغيرها وغيرها من المتع الزائلة.

وضع خالد ساقًا على أخرى، وقال وهو يتراجع في مقعده:

- وما الجديد الذي ستقدمونه لي يا سيد سيكامورا؟

ابتسم الرجل وقال وهو يميل للأمام ويحدق مباشرة في عيني خالد:

- تانوشي كوكورو.

عقد خالد حاجبيه متسائلًا، فقال سيكامورا مفسرًا:

- متعة العقل.

قال عبارته ثم فرقع بإبهامه ووسطاه فتحول الجدار الذي أمامه إلى شاشة عملاقة تنقل صورة أحد العلماء اليابانيين وهو يجلس أمام حاسب آلي متطور، تتحرك أصابعه على أزراره بسرعة الصاروخ، تدل على مهارة وتمكن بالغين، قبل أن تتسع الصورة على الشاشة لتوضح مجموعة من العلماء يقومون بنفس ما يقوم به الشاب الأول مع الحاسوب، ثم تغيرت مرة أخرى لتوضح صورة حية لمدينة طوكيو صباحا وأهلها في حالة من النشاط واللياقة، قال سيكامورا وهو يشير إلى الشاشة:

حاسوبنا المتطور هو عبارة عن محاكي لحالتك النفسية يحاول أن يصل بك إلى حالة الوعي الكامل فقمة المتعة هي أن يتغلب وعيك على لا وعيك، الهدوء على الصخب، الأمان على الخوف.

عقد خالد حاجبيه وهو يتساءل:

- وكيف يكون هذا؟

أجابه الرجل والشاشة تتغير مرة أخرى ليظهر عليها رجل له ملامح مصرية واضحة وهو يمسك جهاز صغير يشبه القلم الحبر، له سن مدبب صغير، ويقترب من رأس رجل بالغ ثم يغرس سن القلم فيها برفق لعشر ثوانٍ كاملة قبل أن ينتزعها ويُمعن النظر فيها ثم ابتسم بهدوء، لتثبت الصورة على هذه الوضعية:

-دكتور حسام حمدي أحد علماء مصر النابغين والذي يعتبر من عباقرة جيله بلا منازع، كانت لديه فكرة جديدة وفريدة من نوعها.

أطلَّت الأسئلة واضحة جلية في عيني خالد دون أن تفصح شفتيه عنها، فابتسم الياباني وقال:

- فكرة تبادل الذاكرة بين الأشخاص في وجود الحاسب الآلي كمحاكي، ومن هنا تأتي قمة المتعة.

قال عبارته ثم صمت قليلًا قبل أن يسأل خالد وهو ينظر في عينيه مباشرة:

- جاهز لخوض تجربة المتعة الفائقة؟

انتفضت روح المغامرة داخل جسد المليونير المصري، فقال على الفور:

- على الرغم من عدم فهمي للموضوع بالكامل، إلا أنني جاهز.

وكانت هذه هي البداية..بداية الجحيم

***

صافح دكتور حسام خالد بحرارة مُرَحِّبًا قبل أن يقول وهو يبتسم ابتسامته المعهودة:

- مَرحبًا بك في عالم المتعة.

بادله خالد الابتسامة ثم قال:

جميل أن يكون لشعبنا مكانة بين شعوب العالم المتقدمة.

قال حسام وهو يتحرك معه ومع سيكامورا نحو غرفة كبيرة بها مقعد واحد فقط يشبه مقعد الجزاز:

الموضوع يعود لسنوات بعيدة، إن حالفني الحظ سأحكيها لك، أما الآن، فدعني أشرح لك تجربتنا.

هزَّ خالد رأسه موافقًا، فتابع حسام قائلًا:

تجربتنا تعتمد على أن تُعطيك المتعة بكل أشكالها حسب طبيعتك وميولك النفسية، فعندما وقع اختيار الحاسب الآلي عليك قمنا بتحليل كامل لشخصيتك، وتوصَّلنا إلى إنك تهوى المغامرة بل تعشقها، ومن هنا قررنا أن نصل بك إلى قمة المتعة حسب ميولك ورغباتك.

أشار إليه خالد بالتوقف عن الحديث، فأطاعه الرجل ليسأله المليونير المصري:

- هل كنتم تتجسسون عليّ؟

عادت الابتسامة الهادئة تتراقص على شفتَي حسام وهو يجيب ويشير إلى حاسوب آلي متصل بالمقعد الوحيد بالحجرة:

- لم نفعل، بل هو فعل. عقد خالد حاجبيه وهو يقترب من الحاسب المتطور ويتحسسه بتوتر، فتابع حسام قائلًا وهو ينظر إلى سيكامورا نظرة ذات مغزى:

هوشي أحد أهم وأخطر الحواسب اليابانية، فهو يعرف عنك ما لا تعرفه عن نفسك عندما تتركه ليطلق سحاباته في الفضاء.

صمت ليلتقط أنفاسه ثم تابع:

– عندما ينتصر وعيك على لا وعيك، تنال المتعة الخالصة.

هزَّ خالد شفتيه بلامبالاة وهو يتبع حسام إلى المقعد، فأشار إليه العالم المصري بالجلوس، فأطاعه خالد وعيناه تبحثان عن سيكامورا الذي اختفى تمامًا من المكان وكأنه لم يكن نُصبَ عينيه منذ لحظات.

جلس على المقعد وتراجع بظهره إلى الوراء، وفي جزء من الثانية أحاطت بذراعيه وساقيه ووسطه شرائط قوية رفيعة من الصلب، فتوترت كل خلية من خلاياه وهو يدير عينيه _اللتَين تحملان كل فزع الدنيا_إلى العالم المصري،فقال حسام بهدوء وهو يتابع الحاسب الآلي بترقب:

– التوتر والقلق ٨٠ ٪، الترقب ٢٠٪، رائع.

سأله خالد وهو يبتلع ريقه ليجفف حلقه الذي أصبح صحراء جرداء خالية تمامًا من الزرع والماء:

– ما الذي سيحدث بعد ذلك؟

أجابه قائلًا وهو يلتقط جهازه الشبيه بالقلم من جيبه:

- لاشيء يا عزيزي، لقد كان اختيار هوشي لك صائبًا مائة بالمائة، كل ما فعله هو أن وضعك في اختبار سريع مباغت ولقد جاءت معدلاتك ممتازة فنسبة ٢٠٪ للترقب، ٨٠٪ للتوتر والقلق هي مناسبة تمامًا لخوض تجربة المتعة اللانهائية.

أطلق خالد زفرة حارة حملت كل قلقه وتوتره ليسجل الحاسوب انخفاض التوتر والقلق إلى ٥٠٪ وارتفاع الترقب إلى ٥٠٪، فابتسم حسام ابتسامته المعهودة وهو يقترب من خالد ويضع سن القلم في الجانب الأيمن من رأسه، فأسبل عينيه وانتظمت أنفاسه على نحوٍ عجيب، وكأنه لم يكن متوترًا منذ لحظات.

عشر ثوانٍ كاملة ظل خلالها السن في رأس خالد قبل أن ينتزعه حسام وهو يقول:

- مبارك يا سيد خالد، لقد بدأت التجربة، وبدأت معها المتعة، ولكي تصل للمتعة الكاملة، اجعل وعيك يتغلب على لا وعيك.

سأله خالد وهو يقوم من المقعد ويتحسس رأسه بتوجس:

-وكيف يكون هذا؟

ابتسم حسام ابتسامة غامضة ثم قال:

- لو أخبرتك الآن ستفقد متعة البحث، ولكنك ستعلم وحدك.

حدَّق خالد في وجه خالد الباسم قبل أن يقول وهو يهز كتفيه باستهتار:

- سنرى.

قاده العالم المصري إلى الخارج ليقابل سيكامورا في الممر المؤدي لخارج المكان، فانحنى الياباني باحترام وهو يقول:

- سعدنا بلقائك سيد خالد، تمنياتي لك بمتعة دائمة.

سأله خالد:

- هل سأعود هنا مرة أخرى؟

أجابه حسام هذه المرة:

- عندما تنطبق سماؤك على أرضك ستأتي على الرغم منك.

همَّ خالد بسؤاله عما يعنيه، فرفع سيكامورا كفه وقال:

- انتهت الأسئلة سيد خالد، سعدنا بلقائك، مبارك مرة أخرى فوزك بالمتعة المطلقة.

قال عبارته ثم أولى المليونير المصري ظهره وذهب إلى القاعة وتبعه حسام وهو ينحني أمام خالد ويقول:

- شَرُفنا بك.

ثم تبع الياباني إلى القاعة، فتحرك خالد نحوه ولكنه اصطدم بحائط من الزجاج الشفاف الذي نبت من العدم، فنادى عليهما ولكن دون مجيب، فتحرك إلى الخارج علي الرغم منه وهو يتلفت حوله، وسؤال واحد يستقر في أعماقه، هل ما حدث كان حقيقة؟

أم هو حلم لم يلبث أن يتحول إلى كابوس مخيف؟

***

مر يومان علي هذا اللقاء ولم يحدث شيء.

ثلاثة أيام ولم تتغير العبارة السابقة عن الحالية إلا في عدد الأيام.

حتى أن خالد وقر بداخله أنه وقع ضحية عملية نصب ما، ولكن ما العملية التي تم النصب عليه فيها؟

سؤال لم يجد له إجابة خلال الأيام الثلاثة السابقة، بدت عادية كغيرها من الأيام التي عاشها في العاصمة طوكيو.

وفي ليلة اليوم الثالث قرر الذهاب إلى نفس العنوان الذي قابل فيه سيكامورا وحسام ليسألهم عن هذه الأيام التي شغلت باله دون جدوى.

أوقف سيارته أمام المنطقة التي يوجد بها مبنى المتعة المطلقة، ثم ترجَّل بهدوء حتى وصل إلى المبنى، فوقف أمام بوابته الصماء كالجبل الشامخ قبل أن يسقط شعاع من الليزر الأحمر ليمسح وجهه بالكامل، لتُفتَح بعد ذلك البوابة بهدوء، وينطلق صوت إلكتروني بارد يقول مرحبًا:

- أهلًا بك في التانوشي.

دخل من البوابة مترقبًا ليجد أمامه سيكامورا، الذي ابتسم بهدوء وهو ينحني الانحناءة اليابانية الشهيرة وهو يقول:

- مرحباً بك سيد..

عقد خالد حاجبيه وهو يقول ببطء وعيناه لا تغادران وجه سيكامورا:

- خالد رضوان.

اتسعت ابتسامة الياباني وهو ينحني مرة أخرى ويقول:

- أهلاً بك، كيف يمكنني أن أخدمك يا سيد خالد؟

اتسعت عينا المليونير المصري بدهشة عارمة قبل أن يقول:

- ألم تتعرفني، لقد كنت هنا منذ ثلاثة أيام.

هز الرجل رأسه ببطء مستفز ثم قال:

- لم يحدث يا سيدي، إنها المرة الأولى التي أقابلك فيها.

اندفع خالد داخل المكان وهو ينادي على حسام ولكن جاوبه صدى صوته، فتبعه سيكامورا وهو يقول:

- سيد خالد، لا وجود لمن تنادي عليه، تفضل بالخروج.

لم يُعيره خالد أي اهتمام وهو يندفع نحو الغرفة التي ضمته مع دكتور حسام منذ الأيام الثلاثة المنصرمة، فتح بابها بعنف.. وسقط..

لقد وجد أمامه هوَّة عميقة، بآخرها نيران مستعرة، حولتها إلى قطعة من الجحيم..

ولأن قوانين نيوتن للجاذبية ثابتة ولم تتغير على مر الزمان، لذلك فقد أطاع جسد خالد قوانينها على الرغم منه، واندفع إلى النيران..

وبلا رحمة

***

-إلى أين يا سيد خالد؟ لقد أخبرتك بأنه لا أحد هنا..

قال سيكامورا عبارته وهو يقبض على معصم خالد ليمنعه من السقوط، فالتفت إليه المليونير المصري بحدة قبل أن يلتفت مرة أخرى إلى الغرفة ويقول بفزع:

- النيران لقد كنت..

بتر عبارته فجأة وهو يتأمل الغرفة مرة أخرى، لم يكن بها نيران كالتي رآها منذ لحظات، لقد كانت عبارة عن غرفة فارغة تمامًا، جدرانها مطلية بلون أحمر قاني وبلا نوافذ.

دفعه الياباني برفق إلى الخارج ولكن خالد انقض عليه وأمسك بتلابيبه وهو يصرخ في وجهه:

- من أنتم؟؟

دفعه سيكامورا دفعة قوية هذه المرة، وهو يصرخ بكلمة باللغة اليابانية، لم يفهمها خالد على الرغم من معرفته باللغة، وفي غمضة عين انشقت الأرض عن ستة من الأشخاص الآليين

(سايبورج) الذين اندفعوا نحو خالد يريدون الفتك به و... (اهرب)

انطلقت الكلمة في عقل خالد كرصاصة في سكون الليل، تسمَّر في مكانه وزاغت عيناه، فانقض عليه السايبورج وطرحوه أرضًا في نفس اللحظة التي عادت فيها الكلمة تضرب خلايا مخ المليونير المصري مرة أخرى، فحاول التملص من مهاجميه دون جدوى، ولكن سيكامورا أنقذه هذه المرة عندما قال بلهجة آمرة:

- قف.

ترك الآليون خالد وانصاعوا لأمر قائدهم، فقام المصري من مكانه بسرعة ثم اندفع إلى خارج المكان ثم إلى الشارع، وكأن شياطين الكون بأكملها تطارده، بلا رحمة.

ركب سيارته ثم انطلق إلى منزله وعقله يشتعل بالأسئلة التي لم يجد لها إجابة..

- هل تم خداعه وتوريطه في شيءٍ مجهول؟

-هل هذه الشركة مجموعة من النصابين الذين يعملون في الخفاء وهو راح ضحيتهم؟!

ولكن لم يحدث له شيء ذو أهمية غير هذا الصوت الذي انطلق في أعماقه، والذي أمره بالهروب، فهل هذه كانت البداية؟

ظلت الأسئلة تتردد داخله دون إجابة، حتى وصلت إلى منزله، فطلب مديرة مكتبة هاتفيًا وأمرها بتأجيل جميع مواعيده اليوم لأنه يعاني من وعكة صحية شديدة.

أنهى حديثه معها وتوجه إلى غرفة نومه و...

واتسعت عيناه عن آخرهما وهو يتطلع إلى الشيء الموجود على فراشه بكل هدوء وسكينة..

الشيء الذي سيغير مسار الأحداث القادمة تماماً.

***

الفصل السادس

نصلٌ حاد ذلك القابع على فراش خالد بكل هدوء وسكينة ومن تحته بركة من الدماء القانية الطازجة.

أذهلته المفاجأة فتسمر في مكانه كجلمود صخر، زاغت عيناه واضطربت نفسه وهو يتتبع مسار الدماء التي انتهت عند باب الحمام، وفجأة وعلى حين غرة؛ فُتِح باب الحمام وخرجت منه امرأة عارية تمامًا تغطيها الدماء من رأسها حتى أخمص قدميها.

ألقت بنفسها عليه فالتقطها على الرغم منه وهو لا يدري ماذا يصنع بها، تعلقت برقبته وهمست في أذنه بجملة واحدة اتسعت لها عيناه رعبًا ودهشة، في نفس اللحظة التي ارتفع صوت طرقات قوية على باب المنزل تبعها صوت أحد رجال الشرطة اليابانية، يأمره بفتح الباب.

ارتعدت فرائصه وعيناه تجوبان المكان بسرعة بحثًا عن وسيلة للنجاة من هذا المأزق القاتل، كان كالفأر الذي وقع في المصيدة وهو يبحث عن وجبة عشاء تسد رمقه..

تهاوى جسد المرأة أرضًا..

تلوث جسده بدمائها..

هربت الدماء من عروقه.. ازدادت الطرقات على باب المنزل..

عربد الخوف بأعماقه..

– اهرب، ليس أمامك غير ذلك..

- كيف؟

- اقفز من النافذة.

- من هذا الارتفاع!

- بعد عشر ثوانٍ من الآن اقفز من النافذة بلا تردد ..

دار هذا الحوار بينه وبين الصوت المصاحب له منذ دخل لمركز المتعة آخر مرة، فتحرك في المكان بتوتر ازداد مع زيادة الطرقات علي باب المنزل، ومع الصوت الصارم الذي أعطاه عشر ثوانٍ هو أيضًا ليكسر الباب هو ورفاقه.

عشر ثوان تجمع التضاد كله.

النجاة أو الموت.

واصل رجل الشرطة الياباني العد حتى وصل إلى الرقم ١٠ ولم يتردد في تحطيم الباب هو ومن معه ليقتلعه من منبته، ليجد أمامه

رجل في العقد الثالث من العمر يقفز من نافذة حجرة النوم، ومن ارتفاع ثمانين طابق نحو الأرض.

***

سبح جسد خالد في الهواء وتلفظ بالشهادتين وهو يرى الموت يلوح له بذراعيه ويبتسم مرحبًا، فمن يقفز من هذا الارتفاع الشاهق فليس أمامه إلا الهلاك ولا شيء غيره.

لقد أطاع الأمر المباشر وقفز بلا تردد وبينما هو يهوى من حالق؛ شاهد شريط حياته يمر أمامه بسرعة البرق حتى وصل إلى هذه اللحظة..اللحظة الفارقة بين الحياة والموت، فتمتم قائلًا:

- يا رب..

ويبدو أن القدير قد استجاب لدعائه، فعلى بُعد طابقين من طابقه لأسفل كانت هناك آلة الكترونية ضخمة تستخدم في تنظيف النوافذ من الخارج وتمتد إلى الشارع الرئيسي..

ارتطم جسده بها بعنف وتدحرج عليها بسرعة تتبعه رصاصات رجال البوليس الياباني الممزوجة بصرخات قائدهم الواعدة.. بسرعة الجاذبية تحرك جسده لأسفل قبل أن يتحكم في جسده

ويُهرول على شريطها المعدني الرفيع القوي، حتى نزل إلى الشارع الممتلىء بالسيارات، أخذ يجرى بلا هدف في نفس الوقت الذي تحركت في أثره سيارتين من سيارات الشرطة كانت تنتظر أسفل المبنى..

اقتربت منه السيارتان فانحرف في شارعٍ جانبي تتبعه سارينة الشرطة المعروفة..

-أنت، اركب.

التفت إلى صاحبة الصوت ليجد أمامه سيارة سوزوكي يابانية الأصل بداخلها فتاة أمريكية حسناء فأطاعها على الفور، ولم يكد يستقر بداخل السيارة حتى انطلقت بها على الفور في نفس الوقت الذي انحرفت سيارات البوليس للطريق الجانبي.. لتبدأ مطاردة من أعنف المطاردات التي شهدتها شوارع طوكيوالقاتلة!

***

ضغطت الفتاة على دواسة الوقود بكل قوتها لتُطلق العنان لسيارتها اليابانية التي أطلق محركها اعتراضه بزمجرة قوية قبل أن

يستسلم لقائدته معطيًا أوامره للعجلات التي احتكت بالأرض بعنف، ثم اندفعت إلى الأمام ومن خلفها سيارات الشرطة الشرسة.

توقف المارة في الشوارع لمشاهدة هذه المطاردة التي نادرًا ما يشاهدونها تحدث أمامهم، بل لقد أقسم أحد المارة لصديقته أن هذه المطاردة ما هي إلا تصوير لمشهد من مشاهد الحركة في أحد أفلام الأكشن.

ولكن الحقيقة كانت تكمن في عقل كل من الرجل والمرأة التي بجواره والتي استدار إليها وسألها وهو يلهث من الانفعال:

- من أنتِ؟ ولماذا أنقذتيني؟

- أجابته دون أن تلتفت وهي تولي الطريق كل تركيزها:

- إنني أنفذ الأوامر.

- سألها مرة أخرى:

- أي أوامر؟

لست أدري، كل ما هنالك أنني كنت هناك، وعندما خرجت جاءني أمر مباشر على هيئة كلمات انطلقت في رأسي بضرورة إنقاذك، وإلا فلن أرى ابنتي مرة أخرى.

كرر كلامها وفتح فمه ليلقي عليها سؤال آخر فوجدها تنحرف في شارع جانبي ناحية اليسار، فوجد نفسه يمسك بعجلة القيادة ويديرها ناحية اليمين عندما انطلق الأمر في عقله مباشرة، فتركت عجلة القيادة له ليتغير مسار السيارة وتتفادى شاحنة عملاقة من إحدى شاحنات الوقود كادت أن تسحقها سحقًا، ولكن سائقها لم يمتلك سرعة استجابة مناسبة فاهتزت عجلة القيادة بين يديه ومالت السيارة على إحدى جانبيها لتسقط أمام سيارات الشرطة التي اصطدمت جميعها تباعًا بالشاحنة و..وانفجرت

كان انفجارًا مروعًا زاد من قوته اشتعال الوقود داخل السيارة العملاقة، والذي امتد لسيارات الشرطة التي انفجرت بدورها، لينعكس وهج النيران على وجهَي خالد ورفيقته.

توقفت السيارة أمام منزل من أربع طوابق، خرجت المرأة من السيارة وهي تشير لخالد أن يتبعها ففعل على الفور وهو يلتفت حوله في توتر، ولكنه أسرع الخطى خلف المرأة التي وصلت للطابق الأخير من المبنى، فأخرجت مفتاحًا له شكل مميز وفتحت به الباب ثم أشارت للرجل فتبعها وهو يغلق الباب خلفه بسرعة.

-استرح، سأغتسل وأعود إليكَ سريعًا.

هزَّ رأسه وهو يجلس على أول مقعد صادفه وهو يجفف عرقًا وهميًا من على جبينه، واستعدت الأسئلة في رأسه لتنطلق.. وفجأة انطلقت صرخة أنثوية قوية من أحد نوافذ المنزل المجاور، فقام من مكانه وأزاح جزءًا صغيرًا من الستارة السميكة التي تغطي النافذة الكبيرة بأكملها، في نفس اللحظة التي عادت فيها الصرخة تلو الأخرى مع صوت مقاومة قوية.

شاهد خالد رجلًا يمسك بسكين حاد يحاول أن يطعن به امرأة شابة في منتصف العقد الثاني من العمر، فأدارت وجهها إليه وقالت بصوت خافت مبحوح:

- انقذني.

ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئًا عندما انهال عليها الرجل بالطعنات في أجزاء متفرقة من جسدها الذي تهاوى بين يديه التي اصطبغت بدمائها، فأطلق خالد شهقة قوية على الرغم منه، جعلت الرجل يلتفت إليه ثم يعقد حاجبيه بقوة قبل أن يرفع السكين إلى لسانه ويلحس دماء الفتاة من عليها، ثم رفعها إلى خالد في تهديدٍ واضح.

أعاد خالد الستارة إلى مكانها بسرعة وأخذ يتحرك في المكان كالليث الجريح، حاول أن ينادي على الفتاة التي جاءت به إلى هذا المكان، ولكنه حتى لم يعرف اسمها، فحسم أمره وانطلق إلى الحمام وطرق بابه بعنف، فقالت المرأة بحدة:

-ماذا تريد؟ سأخرج بعد قليل.

همَّ بالتحدث إليها عندما لمح ظل رجل من أسفل باب الشقة وهو يحاول جاهدًا فتح الباب.

تلفَّت المصري حول نفسه محاولًا إيجاد مخرج من هذا الفخ الجديد دون جدوى.

-اذهب إلى هناك، ليس أمامك غير هذا المكان.

طرق الحل جنبات عقله فالتفت إلى المكان الذي أرشده إليه الصوت وعقد حاجبيه قبل أن يذهب إليه، وعندما استطاع الرجل القاتل أن يدخل إلى المنزل قام بتفتيش كل ركن فيه، حتى الحمام الذي دفع بابه بقوة ليجد المرأة تعدل من ثيابها فضربها بحافة يده على مؤخرة عنقها فشهقت بقوة ثم سقطت أرضًا فاقدة للوعي.

فعاد لتفتيش المكان مرة أخرى، ولكنه في النهاية لم يجد أي أثر لرجل الأعمال والمليونير المصري الشهير..خالد رضوان

***

عندما استدار الرجل لمغادرة المكان تذكر شيئًا ما فعاد إلى النافذة وأزاح ستائرها بقوة وهو ينظر في الاتجاهات الأصلية الأربعة بسرعة، حتى توقفت عيناه عند اتجاه الشمال.. ليجد خالد يجاهد للوصول إلى سطح المنزل، فأسرع الرجل بمغادرة الشقة، قبل أن يصعد السلم بسرعة الصاروخ ثم يضرب باب السطح بقدمه بقوة لينتزعه من منبته، ثم أخرج مسدسًا من نوع البريتا وصوبه

ناحية خالد الذي انطلق يعدو نحو السطح المقابل وهو يضع إحدى قدميه على حافة السور الرفيع ويقفز في الهواء ليسبح جسده في الفراغ بين السطحين لثوانٍ ثلاث قبل أن يهبط على السطح المقابل تطاردة رصاصات الرجل الذي فعل مثلما فعل خالد وانطلق في أثره دون تردد، كان من الواضح أن الرجل لا يريد ترك أي شاهد على جريمته بأي شكل، فازدادت حدة المطاردة،خاصة وأن الرجل كان يتمتع بلياقة بدنية يفتقر إليها خالد، لذلك فقد تقلصت المسافة بين الرجلين، وخاصةً عندما اقتربت نهاية السور الآخر.. فقفز خالد مثلما فعل من قبل و.. ووجد نفسه معلقًا في الهواء من رقبته..

تسارعت أنفاسه مع دقات قلبه عندما أدارته يد الرجل القوية والتي أمسكت به في السطر السابق، لمواجهة صاحبها الذي نظر في عيني خالد بشراسة، والذي أصبح كالطفل الصغير بين يديه، ثم ألقى به بقوة من فوق سطح المنزل ليسبح جسده مرة أخرى في الهواء ولكن نحو الموت.

- ما رأيُكِ؟

سأل حسام حمدي رغدة وهو يشير إلى الفيلم المعروض على شاشة العرض العملاقة، فتوقف على الفور عند مشهد سقوط خالد من أعلى المنزل وظهرت أشد معالم البؤس والإرهاق على وجهه، فأجابته رغدة بصوت مختنق وهي تتطلع إلى وجه زوجها وعينيها تسبحان في بحر من الدموع:

- لماذا تفعلون بنا كل هذا؟

اقترب منها وهو ينظر في عينيها مباشرة ويقول بجدية:

- من أجلها .

عقدت حاجبيها وسألته:

- من هي؟

أجابها وهو يوليها ظهره:

- متعتكم وتجربتنا.

صرخت فجأة وجسدها كله ينتفض:

- لا نريدها.

استدار إليها ببطء وهو يحرك سبابته أمام وجهه علامة للنفي وهو يقول:

- لم يعد بوسعكم التراجع، لقد فتحت المصيدة فكيها ونجاتكم هناك.

صمت قليلًا ثم تابع بصوت مخيف:

- في منطقة الوعي.

ثم فرقع بإصبعيه مرة أخرى لتبدأ الشاشة العملاقة في تكملة الفيلم الذي يخبرها ببواطن الأمور..

***

امسك بالإفريز.

جاء الأمر المباشر لخالد بسرعة البرق، فتحرك ذراعه الأيمن كالصاروخ، وأمسك بالسور في اللحظة الآخيرة قبل أن يسقط من حالق..

تحامل على ذراعه وسحب جسده ببطء لأعلى ليجد القاتل وهو ينصرف من المكان، صعد المليونير المصري إلى السطح مرة أخرى ووقف بثبات.. ثم قال بصوت يموج بالغضب والإجهاد:

- أنت.

استدار الرجل والدهشة تملأ كل خلية من خلايا وجهه قبل أن يصرخ بكلمة يابانية غاضبة ثم اندفع بكل قوته نحو خالد الذي وقف بثبات وكأنه تسمر في الأرض..

اقترب الرجل حتى أصبح على بُعد سنتيمترات قليلة منه فتنحى جانبًا بسرعة البرق وهو يمد ساقه أمام قدمي الرجل الذي تعثَّر ثم مال جسده للأمام على الرغم منه ليرى أضواء المدينة تتحرك بسرعة أمام عينيه قبل أن يهوي من حالق.. وعندما ارتطم جسده بالشارع الواسع وتناثرت دماؤه حول رأسه الذي تهشم تمامًا على الأرض الصلبة، أغمض خالد عينيه في ألمٍ وحزن..

وفجأة التقطت أذنيه صوت شهقة قوية من السطح المقابل، فاستدار إلى مصدرها ليجد أمامه فتاة في الخامسة عشر من عمرها، نحيلة جميلة شعرها كالحرير ينسدل على ظهرها بكل نعومة وهدوء..

عقد خالد حاجبيه وهو يلهث، وكأنه كان يعدو لألف عام، قبل أن يتخذ قراره بسرعة وحسم، فتحرك ناحية الباب ثم هبط

سلالم المبنى كالصاروخ منطلقًا إلى المبنى الذي فيه الفتاة الصغيرة..

لقد كانت واقفة على سطح المبنى، ولأنه كان يعدو بسرعة لذلك فلم يستغرق ذهابه إلى نفس المكان الذي كانت فيه دقائقًا ثلاث، ضرب الباب بقوة فوجد الفتاة واقفة في نفس المكان وتوليه ظهرها فاقترب منها بحذر ثم أمسك بكتفها وأدارها إليه وتطلع إلى وجهها قبل أن يعقد حاجبيه بشدة و..

- أنت.. ما الذي تفعله هنا؟

التفت إلى مصدر الصوت لتصطدم عيناه برجل عجوز اندفع ناحيته وأزاحه جانبًا بكفٍّ مرتجفة وهو يتابع :

-اترك ابنتي لا تقترب منها .

تعجب خالد وهو يشير إلي الفتاة ويقول :

- ابنتك!! هذه دمية وليست كائنًا حيًّا.

احتضنها الرجل وقال وهو يشير إليه:

- هذه الدمية شاهدتك وأنت تلقي بالرجل من فوق المنزل.

قال خالد منفعلًا:

- بل هو الذي كان يحاول أن يقتلني، وكل ما فعلته هو أن دافعت عن نفسي.

التقط أنفاسه ثم تابع قائلًا والرجل يتطلع إليه بشك وريبة:

- ولكن هذه دمية فكيف شاهدت ما حدث؟ لقد أطلقت شهقة قوية سمعتها من مكاني على الرغم من بعد المسافة؟

أجابه الرجل وهو يضع الدمية أرضًا بحرص ويسند ظهرها على السور:

- لقد كان صوتي أنا، لقد اندهشت عندما وجدت الرجل يندفع من فوق المنزل إلى الشارع وأنت تضع قدمك أمامه.

تجاهل خالد كلامه وهو يشير إلى الدمية ويقول:

- ما حكاية هذه الدمية؟ وكيف شاهدت أنت الحادثة بينما كانت تقف هي وحدها على السطح؟

جلس الرجل بجوار الدمية وقال وهو يغمض عينيه ويسترجع ذكريات بعيدة حزينة:

- لقد كانت "فوكا" في الخامسة عشر من عمرها يوم أن ماتت وهي تخوض المرحلة الأخيرة من التانوشي، تلك اللعبة الملعونة

التي لا فكاك منها،بالمناسبة هذه الدمية هي نسخة طبق الأصل منها، صنعتها بعد أسبوع من وفاتها.

عقد خالد حاجبيه ثم اندفع يقول:

- المتعة المطلقة!! هل كانت ابنتك تلعبها؟

هز الرجل رأسه موافقًا في صمت، فتابع خالد وهو يجلس بجوار الرجل ويمسك بذراعه بقوة:

-أرجوك أخبرني بما تعرضت له ابنتك، أنا أخوض نفس التجربة، وأتعرض للعديد من المواقف الغريبة والعجيبة التي تُعَرِّض حياتي للخطر.

التفت الرجل إليه وقال بعينين تسبحان في بحرٍ من الدموع:

- أنا مهندس إلكترونيات سابق، وهوايتي هي الرسم والنحت والبرمجيات، في أحد الأيام جاءت لفوكا رسالة من شركة ما تدَّعي أنها تستطيع أن تعطيك المتعة الكاملة،

لم تترد فوكا في دخول المسابقة، مع العلم أنني لا أحب هذا النوع من المسابقات، والتي يعتمد معظمها على الكذب والخداع.

صمت الرجل فاستحثَّه خالد قائلًا:

- وماذا حدث بعد ذلك؟

أكمل الرجل حديثه وهو يفرك كفيه متوترًا:

- ذهبت إلى هناك وحدها دون أن تخبرني بميعاد ذهابها، ثم عادت بعد ذلك لتبدأ النهاية.

ثم صمت قليلًا قبل أن يقول من بين دموعه:

- نهايتها.

أمسك خالد بكتف الرجل بقوة آلمته قبل أن يقول برجاء:

- أرجوك أكمل الحكاية بالتفصيل.. فأنا أتعرض الآن لما تتعرض له ابنتك، ولا أدري ماذا عليَّ أن أفعل!

هزَّ الرجل رأسه موافقًا واستطرد:

- لقد رحلت فوكا إلى عالم الضياء قبل أن أتوصل إلى الحل وإلى الطريقة التي ستنجيها من هذا الهلاك، لقد تعرضت للعديد من المطاردات المتلاحقة من أشخاص ليس لها أي صلة بهم، حتى سقطت في إحدى المطاردات من فوق أحد أسطح المنازل على رأسها فماتت على الفور، بنفس الطريقة التي مات بها الرجل

الذي كان معك منذ قليل، لذلك أطلقت شهقة الفزع والاستغراب عندما وجدت نفس مشهد وفاة فوكا يعاد أمامي مرة أخرى، خبر وفاتها زلزل كياني وجعل الدنيا سوداء أمام عيني، بحثت عن الشركة في كل مكان حتى توصلت إلى مكانها، صرخت في وجوه العاملين هناك واشتبكت مع رئيسهم ولكنه اتهمني بالجنون وتكالب عليَّ رجاله وأوسعوني ضربًا حتى نزفت كل قطعة في جسدي، فلزمت الفراش لأيام وليالي لم أستطع عدها.

بعد أن تعافَيت؛ عقدت العزم على تحذير كل من يقع تحت رحمة هؤلاء الوحوش وإرشادهم كيفية النجاة من براثنهم..

-وكيف يكون هذا؟

بالاستقرار في نقطة الوعي لأطول فترة ممكنة.

- لقد أخبروني بهذا بالفعل، وقالوا إنني بالوصول إلى هذه النقطة سأحصل على المتعة المطلقة.

ابتسم الرجل بسخرية عندما وصل الحديث عند هذه النقطة ثم قال:

- المتعة المطلقة لهم وليس لك، إنهم يفعلون كل ذلك من أجل الحصول على شيء أنت تملكه، مثلما كانوا يفعلون مع فوكا.

وما الذي كانت تملكه ابنتك؟

الذاكرة القوية، فوكا كانت تستطيع تذكُّر أي شيء مر أمام عينيها أو أي رقم قرأته أو حتى كتاب مهما طالت المدة، لقد كانت تملك هبة بوذا، لذلك كانوا يريدون وضعها تحت ضغط عصبي ونفسي كبير، حتى يتأكد لهم ما سمعوه عنها، ولكن القدر كانت له اليد العظمى وانتزعها منهم ومني..

همَّ خالد بسؤال آخر، ولكن العجوز أكمل حديثه بسؤال مباغت:

- هل تريد التحرر من قيودهم؟

صمت خالد مفكرًا لنصف دقيقة كاملة ثم قال ببطء:

- كيف يكون هذا؟

أجابه الرجل على الفور:

- بالارتداد العكسي.

سأله خالد مرة أخرى:

– ماذا؟

تحسس الرجل وجه الدمية برفق وابتسم وكأنه يتحسس وجه ابنته بالفعل قبل أن يقول:

– أن تصنع عكس ما يقوله لك المُسيطر، الذي يلقي إليكَ بالأوامر لتنفذها دون تفكير.

– ولكن أوامره في كل مرة كانت تنجيني من الهلاك.

– لتلقي بك في هلاك أشد وأشد.

ساد الصمت بينهما بعد أن طرق الرجل أبواب الحقيقة في عقل المليونير المصري، الذي أغلق عينيه وحاول التنفس بعمق وهدوء وتذكر كل شيء جميل مر به في حياته ،تذكر أيام صباه وحياته مع والدته ووالدته، والهدوء النفسي الذي عاش فيه مع زوجته رغدة، تمنى لو كانت معه الآن يريح رأسه على صدرها ويلقي عليها لواذع الشوق إليها، وعندما تذكرها ابتسم وهدأت نفسه و..

وانطلقت تروس عقله تبحث عن السبب الذي جعل الجميع يطاردونه بلا رحمة.. انطلقت إلى البداية الحقيقية..

الفصل السابع

دكتور فادي منصور يريد مقابلتك أستاذ خالد.

رفع خالد رأسه عن بعض الأوراق التي يطالعها، متطلعًا إلى موانا سكرتيرته الحسناء وتأمل ملامحها الجميلة التي تبعث على الارتياح، فابتسم هادئًا ثم قال:

- أدخليه على الفور.

غابت للحظات ثم طُرق الباب فسمح خالد للطارق بالدخول، ثم عقد حاجبيه وهو يتطلع إلى الدكتور فادي الذي دخل إلى الحجرة وهو يرتدي حُلَّة زرقاء داكنة تحول لونها إلى اللون الأسود من شدة اتِّساخها، وحذاء قديم عفا عليه الزمن، أما الرجل نفسه؛ فكان أشعثًاأغبرًا له عينان زائغتان حائرتان، يحمل بعناية حقيبة صغيرة الحجم، استقبله المليونير المصري بتوجس وهو يشير إليه بالجلوس قائلًا:

مرحبًا دكتور فادي، لقد طلبت مقابلتي لأمر هام، ماهو؟

تلفَّت الرجل حولَه متوترًا قبل أن يميل على المكتب ويقول:

- أستاذ خالد، ما هي معلوماتك عن النانو تكنولوجي؟

قال خالد وهو يتراجع في مقعده:

- تكنولوجيا المنمنمات هي الأروع على الإطلاق، عالم من السحر والخيال.

حدَّق فادي في وجهه لبُرهة قبل أن يطلق ضحكة عالية ساخرة تحول وجهه فيها كأعتى شياطين الجحيم، مما أثار غيظ خالد وسخطه فقال:

- اخرج من مكتبي.

قطع فادي ضحكته فجأة وكأنها لم تكن ثم قال:

- من غير المعقول أن أحد عمالقة تكنولوجيا الاتصالات لا يعلم إلا القليل عن تكنولوجيا النانو، فالدولة التي شركتك على أرضها تستعد لعمل أول مصعد للقمر باستخدام أنابيب الكربون النانوية.

هدأ خالد قليلًا ثم قال:

- أعلم ذلك.

لوَّح فادي بكفه وقال بفخر:

- ولكنك ستكون الأول الذي يعلم ما بين يدي.

قال خالد باستهتار:

- وما هو الذي بين يديك؟

فتح حقيبته وأخرج منها قطعة معدنية صغيرة وضعها أمام خالد بعناية ثم قال:

- أحدث تقنيات النانو مع فيزياء الكم، والتي تحقق حلم الكثير من العلماء على مر العصور بكل بساطة.

عقد خالد حاجبيه وقال:

- وما هو حلمهم؟

برقت عينا دكتور فادي وهو يجيب:

- الانتقال عبر الأكوان.

جاء دور خالد ليضحك ضحكة ساخرة عالية بعد أن حدق في وجه فادي قليلًا ثم قال:

- ما هذه التخاريف.

قابل فادي ضحكة خالد بهدوء ثم أشار إلى الجسم المعدني وقال:

- التجربة خير دليل.

قطع خالد ضحكته فجأة، فتابع العالم المجنون:

- جرب يا عزيزي، وللحديث بقية بعد التجربة.

لعب شيطان المتعة فى رأس المليونير المصري فامتدت يده لتمسك بالقطعة الصغيرة يتأملها باهتمام فتابع فادي:

كل ما عليك هو أنا تضعها على جبهتك وتفكر فى نفسك ولكن بشكل أخر ، مثلا ماذا لو كنت لاعب كرة قدم، أو ممثل سينمائي، أو حتى طبيب أمراض نساء، ماذا لو ذهبت إلى كونٍ موازٍ لتجد أن الديناصورات ما زالت تحكم الأرض، أو أن الحرب العالمية الأولى ما زالت مستمرة ولم تنتهِ، ملايين الاحتمالات التي من الممكن أن تكون أحد رموزها، جزيئات النانو ستتجه نحو مراكز التفكير والتذكر في المخ لتحيطها بعنايتها ومن ثم ستنقلك إلى كَونٍ موازٍ وحياة أخرى..

ببطء حذر رفع خالد القطعة إلى مستوى عينيه وهو يبتلع ريقه بخوف قبل أن يعيدها إلى الحقيبة الصغيرة مرة أخري، ويهز رأسه بقوة وهو يقول:

- لا.

أغلق فادي الحقيبة ووضعها أمام خالد ثم قال:

- لا تخف، جربها يا عزيزي وسنتقابل غدًا لنتحدث في التفاصيل، نفذ ما قلته لك ولكن كن على حذر، لا تمكث في أي كون موازٍ أكثر من ساعة واحدة،فالساعة في فيزياء الكم تساوي سنة كاملة، وإذا أردت العودة؛ ستضع كفك على جبهتك وتنتزع القطعة الصغيرة لتعود إلى الكون الذي تعيش فيه في نفس اللحظة، ولتعلم أنها بمجرد التجربة فهي لك لا لغيرك.

هز خالد كتفيه وقال:

- وما أدراك بأن التجربة ستعجبني؟

هز فادي رأسه بثقة وهو يقول:

- ستعبجك، أنا واثق أنها ستعجبك.

قالها ثم غادر المكتب على الفور، تاركًا خلفه طنًا من الألغاز بلا تفسير.

***

لا أحد في الكون يمكنه أن يصف حالة التوتر والترقب والقلق التي عاشها خالد بعد أن رجع إلى منزله ومعه الحقيبة الصغيرة التي تركها له دكتور فادي، ذلك الرجل الذي ألحَّ في مقابلته

طوال عشرة أيام منصرمة، حتى وافق في النهاية على مقابلته، ليترك بين يديه بحرًا من الأسرار والغموض، وأطنانًا من أسئلة لا جواب لها.

روح المغامرة هي التي جعلته يوافق على أخذ الحقيبة من فادي على سبيل التجربة، وها هو ذا يقف في منتصف حجرة نومه يتطلع إلى حقيبة الأسرار التي تفصله عنها أمتارًا قليلة، كان يخشى المجهول كعادة البشر، ويعشق المغامرة كغيره من رجال الأعمال.

قام من مكانه واتجه إلى حقيبة الأسرار، فتحها والتقط منها القطعة المعدنية الصغيرة، ثم قرَّبها من جبهته؛ فلاحظ توهجها فألصقها بجبهته.. واختفت..

اختفت داخل رأسه لتستقر بين ثنايا مخه مما أثار خوفه ورعبه، حاول أن يتماسك وهو يتذكر كلام فادي ففكر في العصر الذي يريد الذهاب إليه، وفي غمضة عين اختفى المليونير المصري من منزله، بل من العصر الذي يعيش فيه إلى المجهول.

***

-حسنًا، سأشتري القطعة.

-هل قمت بتجربتها؟

-نعم.

-وماذا وجدت؟

-في البداية شعرت برجفة قوية تجتاح كل خلجة من خلجاتي، مع صداعٍ رهيب استغرق ثوانٍ قليلة قبل أن يبهر عيني ضوءٌ قوي، ثم رأيت ممرًا كبيرًا على جانبيه عدة ثقوب سوداء، كل ثقب عليه رمز معين يدل على الموجود من خلفه، لم أجرؤ على الدخول في أيٍّ منها، فانتزعت القطعة ووجدت نفسي في منزلي مرة أخرى.

هزَّ فادي رأسه موافقًا لكلام خالد قبل أن يضع ساقًا على ساق ويقول:

- كان لابد أن تختار الكون الذي تريد الذهاب إليه أولًا قبل أن تخوض التجربة.

ثم قام من مكانه وتحرك في المكان وقال:

- يجب أن تعرف أن هناك من سبقك في امتلاك هذه القطعة المعدنية.

سأله خالد مباشرةً:

- من؟

أجابه فادي وهو يتحرك بثقة وكأنه صاحب المكان:

- الملياردير الفرنسي فرانك ديبواه.

هزَّ خالد كتفيه باستهتار دون أن يتكلم فتابع فادي:

- ولكنني أحببت أن يمتلك أحدٌ من بني عروبتي هذه الهدية.

قام خالد من خلف مكتبه ثم وضع كفه على كتف الرجل وسأله:

- لماذا لم تطبق التجربة على نفسك كطبيعة العلماء.

أجابه الرجل وهو ينظر لأسفل متأثرًا:

- لم يعد سني يسمح بذلك، فأنا في منتصف العقد السادس، والجانب الآخر يناديني كل ساعة، فالسرطان ينهش في خلايا جسدي كل يوم بلا رحمة.

ظهر التأثر على وجه خالد فربت على كتف الرجل وهو يقول:

- الأعمار بيد الله.

ثم أخرج دفتر شيكاته وقطع منه إحدى الشيكات وأعطاه للرجل وهو يقول: - اكتب الرقم الذي تريده.

أعاد له الرجل الشيك وهو يقول:

- هذه القطعة هدية مني لك، فقد أخذت ما يكفيني من رجل الأعمال الفرنسي، ولكن لي طلب بل هي أمنية.

ظهر التساؤل في عينَي خالد، فأكمل العالم العراقي حديثه:

- حاول أن تدخل العديد من الأكوان، لترى الأمة العربية في غير شكلها الحالي، شكلٌ يريح قلوبنا ويهدىء من روعتها.

قال خالد وهو يعود لمقعده مرة أخرى:

- سأحاول ولكنني أرى أن هذا لن يعود علينا بالنفع،فنحن خلقنا في هذا الكون لا لغيره.

ابتسم الرجل ابتسامة باهتة ثم قال:

- لقد قلت حاول يا أستاذ خالد، لن تضيرك المحاولة، قبل أن أتركك لابد أن أخبرك بأمرين في غاية الأهمية.

- ما هما؟

أجابه فادي وهو يشير إليه بسبابته:

- لابد أن تضع كلمة سر لشريحتك المعدنية.

-والأمر الثاني؟

أجابه مرة أخرى:

- أن تختار شخص بعينه يمكن أن تنتقل إليه الشريحة المعدنية دون غيره، عبر ذاكرتك التي ستختزن ما ستراه وتعيشه في كل كون من الأكوان التي ستقوم بزيارتها.

طلبٌ أخير، حاول أن تتواصل مع الملياردير الفرنسي، لأنكما تعيشان نفس التجربة ولكن بأحاسيس مختلفة.

لم يُعقِّب خالد على كلامه بعد أن ترك المكان بأكمله، ليتركه مرة أخرى سجين عالم من الألغاز والحيرة

***

ما أن خرج دكتور فادي من مكتب خالد؛ حتى أخرج الأخير هاتفه المحمول ثم اتصل برقمٍ طويل للغاية، وانتظر وهو يستمع إلى رنينه من الجانب الآخر حتى قطعه صوتٌ ناعسٌ، فقال خالد:

- فرانك، آسف على الإزعاج.

رد عليه فرانك قائلًا:

- أنت على الرحب والسعة دائمًا مسيو خالد.

سأله خالد مباشرةً دون مواربة:

- هل زارك دكتور فادي؟

أجابه الملياردير الفرنسي بسؤالٍ حذر:

- هل زارك أنت أيضًا؟

ابتسم خالد وقال:

- نعم، ولقد أعطاني تحفته الفنية التي..

قاطعه فرانك على الفور:

- أريد أن أشرب معك فنجانًا من القهوة، ما رأيك؟

أجابه خالد:

- يشرفني طبعًا.

تكلم الرجل بسرعة:

- حسنًا، غدًا سأكون في اليابان، رحلة عمل وسأزورك في الشركة.

ابتسم خالد وهو يقول:

- في انتظارك.

أنهى المكالمة بعد هذه العبارة وهو لا يدري أن هناك من يستمع لجميع أحاديثه بكل اهتمام عبر ميكروفون صغير مخبأ بمهارة بين ثنايا إطار إحدى اللوحات الضخمة التي تزين أحد حوائط مكتبه..

لقد كانت موانا.. سكرتيرته الحسناء.

***

صافح خالد فرانك بحرارة بعد أن تقابلا في مكتب الأول، وبعد تبادل عبارات الترحيب تكلم فرانك بحذر قائلًا:

- لقد فضلت أن نتقابل في مكتبك لأن الموضوع على درجة عالية من الأهمية.

هز خالد رأسه مؤيدًا لكلام صديقه الذي تابع قائلًا:

- لقد جاءني العالم العراقي وعرض عليَ تجربته والحق يُقال أنها مُبهرة.

قاطعه خالد بلهفة:

- هل قُمت بتجربتها؟

أجابه فرانك مبتسمًا:

- نعم.

سأله خالد مرة أخرى:

- وما هو شعورك؟

أجابه فرانك وهو ينظر بعينيه لفراغ الحجرة:

- الخوف والأمل.

همَّ خالد بسؤاله مرة أخرى ولكن الفرنسي تابع:

- الخوف من المجهول هناك، والأمل في رؤية تاريخ فرنسا بشكل مختلف.

قال خالد مستنكرًا:

- ولكن هذا مستحيل.. فالماضي لا يمكن تغييره، وإلا دُمِّر مستقبلنا وانتهى حاضرنا، قُل لي يا عزيزي.. ماذا لو ذهبنا إلى الماضي وعثرت على جدك فقتلته؟ معنى هذا أنك لن تتواجد في زمانك لأن والدك لن يكون له وجود بمقتل جدك!

ابتسم فرانك بهدوء وقال:

فلندعوا الله ألا نقابله، ثم أنك تتحدث عن زماننا وليس عن كونٍ مخالف بحياة أخرى وضوابط مختلفة..

ساد الصمت بينهما وكل منهما يسبح في بحرٍ متلاطمٍ من الخوف والرهبة، فالتجربة جديدة وخطيرة.

قطع فرانك الصمت كسكينٍ حاد يقطع قالبًا من الزبدة، بسؤال هام:

- هل تعلم أننا من الممكن أن نكون أغنى رجلَين في الكوكب؟

سأله خالد قائلًا:

- وكيف هذا؟

أجابه فرانك وهو يتراجع في مقعده:

- سنُغير المنظومة الاقتصادية العالمية لتخدم مصالحنا الشخصية، فنتحكم في كافة الصناعات على مستوى العالم بأكمله، باختصار سننقل ما يوجد بالكون الموازي لكوننا..

أكمل خالد حديث فرانك بعد أن فهم ما يقصده:

- ولكن هذا سيكون في منتهى الخطورة، فحسب كلامك أجد أننا أمام عبارة واحدة لا تتغير، ما خُلِق لغيرنا لن يكون لنا ولن

يناسبنا..

وافقه فرانك وهو يقول:

- أنا معك يا عزيزي، ولكنني أقول سنحاول..

ساد الصمت بينهما مرة أخرى ولكن موانا هي التي قطعته هذه المرة بطرقها على الباب وإحضارها لبعض المرطبات،والتي شكرها خالد وفرانك عليها قبل أن تتركهم وتعود مرة أخرى لمكتبها لتتابع حديثهما من خلال ميكروفون التجسس الذي نقل لها تنهيدة فرانك ثم سؤاله لخالد:

- هل أخبرك فادي بضرورة وضع كلمة سر للدخول والخروج من الكون الموازي الذي ستكون فيه؟

أجابه خالد:

- نعم.

وهل أخبرك بضرورة اختيارك لشخص بعينه لتنتقل إليه الشريحة المعدنية دون غيره؟

أجابه خالد بنفس الإجابة السابقة، ثم تابع قائلًا:

- ما رأيك يا عزيزي لو سافرنا معًا لكَونٍ معين؟ لنكون سندًا لبعضنا هناك.

تناول فرانك كوبًا من عصير الليمون الموضوع أمامه، وارتشف منه رشفةً صغيره ثم قال:

- وجهتك غير وجهتي، وطريقك غير طريقي يا عزيزي.

ثم قام من مكانه وعدَّل من هندامه وهو يقول:

- سأضطر إلى الانصراف الآن وللحديث بقية، كن على حذر.

تصافحا مرة أخرى قبل أن يغادر فرانك المكان ويعود خالد مرة أخرى إلى مكتبه وهو يفكر في كيفية إخفاء القطعة المعدنية عن أعين الجميع، استغرق في تفكيرة ربع ساعة كاملة ثم برقت عيناه عندما توصل لطريقة إخفاء كنزه عن أعين الجميع، وبالنسبة لموانا؛ فقد كانت هذه هي المعلومة الوحيدة التي لم تحصل عليها في هذا اليوم.. مكان الشريحة المعدنية.

غمغم خالد دون أن يفتح عينيه:

- إذًا فأنتم تريدونها.

ثم فتح عينيه وانبعث منهما بريقٌ قويّ،فقام من مكانه ونظر إلى الرجل ثم قال:

- سأحاول أن أتبع نصيحتك، لقد عرفت لماذا أدخلوني في هذه اللعبة القذرة..

هزَّ الرجل رأسه موافقًا قبل أن يقول:

- خذ حذرك يا بُنَي، فلا أحد يعلم ما الذي سيحدث غدًا.

توجَّه خالد نحو باب السَّطح ثم توقف عندما تذكر شيئًا ما، فالتفت نحو الرجل مرة أخرى وقال:

- ما اسمك؟

رفع الرجل رأسه إليه ثم قال:

- تنغو.

انطلق خالد مغادرًا السطح إلى آخر مكان يمكن أن يتخيل أحد أن يذهب إليه.. إلى منزله

***

الفصل الثامن

- يبدو أن الأمر حقيقيّ.

قال خالد عبارته وهو يتسلل بهدوء حذر بين المباني المحيطة بمنزله يراقب حركة رجال الشرطة اليابانية الذين أحاطوا بالمكان من جميع الجوانب وكأنهم في انتظاره هو دون غيره.

كان يحاول جاهدًا أن يقنع نفسه أن كل ما حدث له هو لعبة ما تلبث أن تنتهي، لعبة يريدون بها الحصول على ما يملك،وما يملكه هناك في منزله على بعد خطواتٍ منه، ولو حصل عليه فلن يجرؤ مخلوق على أخذه حتى لو قطعوه إربًا إربًا، ولكن تردد صوتٌ عالٍ بداخله يخبره أن الأمر أخطر من ذلك وأن هناك مؤامرة تُحاك له في الخفاء، بجانب ما يبتغون.. فالمطاردات حقيقية تمامًا،والرصاصات التي كانت تنطلق نحوه هي أيضًا حقيقية وقاتلة، والمرأة التي وجدها قتيلة في شقته كانت دماؤها قانية كدماء بني البشر، فماذا يحدث؟

هل هناك لعبة بهذه البشاعة؟

وأين هي المتعة في ذلك؟

هل المتعة في المجهول؟

أم في النجاة من الهلاك؟

أم متعتهم فيما سيحصلون عليه؟

أسئلة كثيرة دارت في عقله دون أن يجد لها أي إجابة، قطعها صوتٌ خافتٌ من خلفه مع كفٍّ خشنة ربتت على كتفه، فاستدار بسرعة إلى مصدرها ليجد أمامه أحد المتسولين الذين تعج بهم تلك المنطقة الخلفية والتي تطاردهم الشرطة ليل نهار.

- ماذا تريد؟

سأله خالد وهو يتطلع إلى ملامحه التي تحمل ملامح يابانية خالصة مع شعرٍأشعث وملابس ممزقة، وتنبعث منه رائحة نتنة جعلت خالد يتراجع للوراء.

أجابه الرجل بإشارة إلى فمه معناها أنه يريد سيجارة، فهز خالد رأسه نافيًا، لم يكتفِ الرجل بإجابة المليونير المصري، بل انقض عليه يفتشه بعنف، وخالد يحاول جاهدًا التخلص منه بهدوء حتى لا يلاحظه رجال الشرطة الذين يحومون على مرمى البصر بكل همة ونشاط.

انتزع المتسول هاتف خالد المحمول ورفعه عاليًا وهو يطلق صيحة ظفر عالية جعلت فريقين متباينى الميول يلتفتون إليه.. رجال الشرطة اليابانية، والعشرات من المتسولين الذين انشقت الأرض عنهم فجأة دون سابق إنذار.

تشبث المليونير المصري بهاتفه المحمول الذي يمسك به الرجل، وارتفعت قبضته اليمنى لتهوي على فك المتسول بلكمة كالقنبلة انتزعته من مكانه وألقت به على ظهره، ليسقط وسط كومة كبيرة القمامة، فأمسك الرجل فكه متألمًا وهو ينظر إلى خالد بحذر قبل أن يشير إلى رفاقه ويصرخ بكلمة ليس لها معنى في أي قاموس للغة، فانطلقوا إلى هدفهم بكل شراسة، في نفس الوقت الذي اندفع فيه عددٌ من رجال الشرطة نحو المكان وهم يطلقون بدورهم صيحات تحذيرية لخالد بالتوقف فورًا بعد أن تعرفوا عليه من خلال الرسم الدقيق الذي قام به أحد الرسامين التابعين لهم، والذي تم توزيعه على جميع نقاط المراقبة وأقسام الشرطة. لم يكن أمامه إلا الجري، وبأقصى سرعة تسمح بها قدميه، ومن خلفه كان المشهد عجيبًا بحق..

شرذمة من المتسولين انطلقوا خلف خالد خوفًا من رجال الشرطة، ورجال الشرطة الذين انطلقوا بكامل عتادهم خلف الجميع.

انعطف الرجل في طريق جانبي ليجد أمامه عامل ديليڤري ينزل عن دراجته ثم يفتح صندوقها الخلفي ويخرج منه كرتونة بيتزا صغيرة..

انقضَّ عليه خالد ودفعه بقوة قبل أن يعتلي الدراجة وينطلق بها في اتجاة المتسولين ورجال الشرطة، متَّبعًا المبدأ الحربي القديم (الهجوم خير وسيلة للدفاع)، ولقد أفلحت مبادرته بالفعل عندما تفرق المتسولين من أمامه ليفسحوا له طريقًا بينهم، انطلق فيه بلا تردد، ولكن رجال الشرطة لم يتركوا له فرصة للهرب فقد اصطفوا بجانب بعضهم البعض وصوبوا أسلحتهم نحوه وداعبت أصابعهم أزنداتها وانطلقت الرصاصات لتحصد صيدًا ثمينًا جدًا.

***

رصاصاتٌ عديدة انطلقت في هذا اليوم..

رصاصاتٌ أيقظت الحي الياباني بالكامل..

رصاصاتٌ خرجت من مسدسات رجال الشرطة لتحصد العديد من الأهداف الثمينة..

ولكن خالد لم يكن من ضمن هذه الأهداف، فبينما هم يصوبون أسلحتهم إليه؛ لمح بطرف عينه جزءًا منبعجًا على جانب الطريق ويعلو عن الأرض بعشرين سنتيمتر لأعلى بشكلٍ مسطَّح.. انطلق نحو الجزء المنبعج وصعد إليه بسرعته لترتفع الدراجة البخارية فوق رؤوس الجميع الذين انطلقت أسلحتهم في نفس الموضع الذي كانت تحتله دراجة خالد منذ لحظات لتحصد عددًا كبيرًا من المتسولين الذينأخذتهم المفاجأة فتسمَّروا في أماكنهم دون حراك، لتنتهي حياتهم في لحظات.

أما خالد فقد أطلق العنان لدراجته ليهرب من الحصار إلى شوارع المدينة الواسعة.

ما أن ابتعد عن المنطقة بمسافة مناسبة حتى أخرج هاتفه المحمول وضغط على أحد أزراره ليعيد الاتصال بآخر رقم على

قائمة الاتصال الأخيرة، سمع جرس الهاتف من الجهة الأخرى قبل أن ينطلق صوتٌ أنثوي يموج بالحيوية والنشاط يقول:

- مستر خالد، أين أنت؟

تحدث خالد وهو يحاول التحكم في الدراجة ويحاول التحدث في نفس الوقت:

- موانا، استمعي إليَّ جيدًا، أريدك أن تذهبي إلى فرانك دوبوا الآن بنفسك وتقولي له خالد يخبرك أن (الشمس قد غربت وآنَ موعد الرحيل).

عقدت موانا حاجبَيها وقالت:

- ما معني هذا؟

صرخ خالد فيها بكل توتره:

- ليس هناك وقت للأسئلة، هيا تحركي، كل دقيقة لها ثمنها.

قال عبارته ثم أغلق هاتفه ووضعه في جيبه، ثم دار بدراجته دورة واسعة قبل أن يذهب إلى هناك مرة أخرى..إلى منزله.

***

- إلى منزله! كيف هذا؟

تمتمت رغدة بهذه الكلمات وهي ترفع رأسها نحو حسام الذي أومأ برأسه موافقًا، فتابعت قائلة:

أريد أن أذهب للحمام .

عقد حاجبيه لثوانٍ قبل أن يشير إلى باب في آخر الغرفة، فقامت وتوجهت إليه قبل أن تغلقه خلفها بإحكام وتجلس واضعةً كفها على خدها لتسترجع أحد حواراتها مع زوجها، لعلها تتوصل لبصيص نور أو بارقة أمل في هذا الليل البهيم.

***

-ماذا تعرفين عن الحياة يا عزيزتي؟

أجابت رغدة زوجها وهي تتطلع إليه وعيناه تتابعان أمواج بحر شرم الشيخ في اهتمام:

- أنك فيها.

ابتسم لإجابتها قبل أن يلتفت إليها وتسبح عيناه في بحر عينيها دون مرسى، ثم قال:

- الحياة هي أنتِ أينما كنتِ.

أراحت رأسها على كتفه وهي تبتسم في حنان، فتابع بجدية:

- هذه هي المرة الأولى التي سأتحدث إليكِ فيها عن أمرٍ في غاية الأهمية.

رفعت رأسها عن كتفه وعقدت حاجبيها وسألته:

- ما هو؟

ابتسم ابتسامة باهتة ثم أجابها:

- من الآن فصاعدًا ستعرفين كل شيء عن عملي وعن مشاريعي وعن حياتي الأخرى..

سألته مرة أخرى:

- حياتك الأخرى!! مع من وكيف هي؟ هل هي أجمل مني؟ تكلم يا خالد أرجوك..

صمت قليلًا.. ثم أطلق ضحكة عالية قبل أن يقول:

هل تعتقدين أنني من الممكن أن أحب غيرك أو آنس لغيرك، هذا من رابع المستحيلات، ما أقصده يا حبيبتي، هو أن تعلمي كل شيء عني، حتى إذا أصابني مكروه؛ تستطيعين العيش..

قاطعته بأن وضعت كفَّها على فمه لتمنعه من مواصلة الحديث ثم قالت:

- أبعَدَ الله الشر عنك يا حبيبي، لا تنطق بهذه الكلمات، أدامك الله لي إلى آخر العمر.

أمسك بكفِّها وقبلها برفق ثم ربت عليها وقال:

- ولكنني أُصر على أن تعرفي ما حدث لي في الفترة الأخيرة في اليابان..

مطت شفتيها بعدم رضا وهزت كتفيها باستسلام ثم قالت:

- كما تشاء.

ابتسم وهو يمرر كفه بين خصلات شعرها المنسدل على ظهرها كالحرير ويقول:

- ماذا لو كان لنا حيوَاتٌ كثيرة؟

عقدت حاجبيها واعتدلت في مكانها وقالت:

- كيف هذا؟

التقط نفسًا عميقًا ثم قال وكأنه يلقي درسًا على إحدى الطالبات:

- من المعروف أن الإنسان يعيش مرة واحدة، يوثِّق خلالها كل لحظة فيها سواءً كانت حلوة أو مرة، الحلوة يتمنى إعادتها، والمُرة بلا رجعة.

صمَتَ قليلًا.. ثم نظر إليها ليرى مدى استيعابها لكلامه، فوجد عدم الفهم كائن محفور في عينيها، فتابع وهو يبتسم على الرغم منه:

- يكره الشيب الذي يغزو رأسه، فالمرأة تعتبره لعنة الزمن، والرجل يعتبره وقارًا ومن داخله لا يكن له أي خير، فماذا لو استطعنا استرجاع اللحظات الحلوة التي مرت علينا، ونعيشها مرة أخرى؟ وماذا لو استطعنا أن نراجع حساباتنا ونمحوا لحظات الحزن من كتاب حياتنا، بل ونحولها للحظات فرح وسعادة؟

قاطعته رغدة عند هذه النقطة مستنكرة:

- ولكن هذا يعتبر تغيير للتاريخ وللزمن، وهو شيءٌ مستحيل.

ابتسم بهدوء وقال:

- هو كذلك.

انتظرت أن يُكمل حديثه، ولم يخذلها:

- سنستخدم تأثير الفراشة، ولكن ليس في هذا الكون الذي نعيش فيه.

سألته وهي تفرك في كفيها متوترة:

- كيف هذا؟

أجابها على الفور:

- هل تعلمين سبب اندلاع الحرب العالمية الأولى؟

لم ينتظر إجابتها فتابع:

الحرب العالمية الأولى التي أحدثت الخراب والويلات في العالم كانت ناتجة عن مقتل ولي عهد النمسا آنذاك، حيث لا يمكن القول أن الحرب التي أسفرت عن مقتل ٨.٥ مليون شخص حدثت بسبب مقتل رجل واحد، لكن اغتياله كان الشرارة الأولى لهذه الحرب المدمرة أو كان بمثابة تحريك جناح الفراشة.

التقط أنفاسه ثم قال:

- نحن سنعيد تحريك جناح الفراشة، ولكن بالعكس، وفي كونٍ آخر.

همَّت بإلقاء سؤال آخر، عندما ارتفع رنين هاتفه المحمول، فأشار إليها ثم التقط هاتفه وضغط زر الإجابة، فاستمع لصوت محدثته قبل أن يقول:

- حسنًا يا موانا، أنا في طريقي إليكِ.

وضع الهاتف في جيبه ثم قال وهو يقوم من مكانه:

- حبيبتي، سأتركك الآن، عندي اجتماع هام، وللحديث بقية.

تركها تضرب أخماسًا في أسداسًا، وهي تفكر في جناح الفراشة، على الكون الآخر،وهل سيحمل إليها إجابة تساؤلاتها، أم سيتركها تغوص في شاطىء الجهل؟

قاطع ذكرياتها صوت طرقاتٍ على باب الحمام، فجفلت ثم قالت:

- من؟؟

جاءها صوت حسام هادئًا:

- هيا يا عزيزتي، لن ننتظرك اليوم بأكمله.

زمَّت شفتيها ثم قالت:

- حاضر.

خرجت من الباب لتجده أمامها، فقلبت شفتيها بامتعاض وقالت:

- قليل من الخصوصية.

قالتها ثم تركته يذوب في نهرٍ من الخجل مياهه حمراء قانية قبل أن يتبعها ويفرقع بإصبعيه مرة أخرى، لتعمل الشاشة العملاقة وتواصل نقل تجربة خالد هناك..في اليابان.

***

لملمت موانا أشياءها بسرعة ثم ارتدت ملابسها على عجل، ثم انطلقت إلى سيارتها فاستقلتها، وما هي إلا ربع ساعة حتى كانت تقف أمام فرانك داخل مكتبه وتخبره بالرسالة التي أمرها بها خالد.

دلَّت كل خلجة من خلجات فرانك على التوتر والخوف وهو يستمع إلى عبارتها قبل أن يقول وهو يدفعها للخارج برفق:

- حسنًا يا عزيزتي، أبلغيه أنني سأجهز الراحلة لننطلق معًا على الفور.

غادرت موانا المكان بعد أن قامت بمهمتها على أكمل وجه،

واستدار فرانك إلى لوحة فنية كبيرة لبول سيزان تزين الجدار الكبير من خلفه، أزاحها برفق لتظهر من تحتها خزانة متوسطة الحجم تغوص داخل الجدار، وضع كفَّه عليها ثم تلفَّظَ بكلمة فرنسية خالصة لتنفتح على مصرعيها لتبدو بداخلها قطعة معدنية صغيرة جدًا في حجم العملة المعدنية، التقطها و..

واتسعت عيناه في مزيج من الدهشة والألم عندما اخترقت رصاصة النافذة الكبيرة التي تُطل على العديد من ناطحات السحاب، لتستقر في رأس رجل الأعمال الفرنسي الذي سقط أرضًا وتدحرجت من بين أصابعه القطعة المعدنية على الأرض.

لثوانٍ ظل المشهد ثابتًا قبل أن يُفتح باب المكتب وتدخل منه موانا وبصحبتها رجلٌ وسيم عريض المنكبين يرتدي حُلة سوداء تحتها قميص من نفس اللون ورابطة عنق رمادية.

انحنت موانا والتقطت القطعة المعدنية ثم أعطتها للرجل الوسيم الذي التقطها برشاقة وتأملها وهو يبتسم ظافرًا ثم يقول:

- الآن أصبحت معنا نصف الحياة، والنصف الآخر في حوزة المصري.

قالت موانا وهي تنحني على الرجل ليغزو عطرها القوي أنفه:

- اطمئن ستكون بحوزتنا قريبًا.

ابتسم بثقة وقال:

- أنا مطمئنٌ بالفعل.

ثم غادر المكان مع موانا دون أن يتركوا خلفهم أدنى أثر!

***

الفصل التاسع

في هذه المرة كان الطريق إلى المنزل سهلًا، فلم يجد خالد أي أحد من رجال الشرطة بالمكان، مما زاد من توتره وقلقه، ولكن صوت العقل أخبره أن الجميع قد ذهبوا في أثره، وأنهم سيعودون قريبًا لمنزله وكلهم شراسة وعنف، وعليه أن يتحرك بسرعة قبل أن يظفروا به.

دخل من الباب الرئيسي، ومن حسن حظه أن حارس الأمن لم يكن هناك، فاستقل المصعد إلى الطابق الذي تقع به شقته بكل هدوء.

تحركت درفتا باب المصعد بهدوء ليبدو باب شقته أمام عينيه مغلقًا وعليه شمعٌ لونه أحمر وشريط أصفر اللون.

انتزع الشريط ثم أخرج مفتاح الباب ودسه في جحره وأداره برفق، فانفتح الباب ودلف هو إلى المكان وهو يدير بصره في كل ركن فيه وكأنه يراه لأول مرة، لم يدخل إلى حجرة نومه التي وقعت فيها الجريمة، بل اتَّجه إلى المطبخ ووقف في منتصفه ثم

قال:

- النيل والفرات.

انبعث صوتٌ أنثويٌ آليٌ في المكان يرحب به قبل أن يهبط لوحٌ من الصلب من سقف المكان أمام خالد مباشرة، وضع كفه عليه ثم قال مرة أخري:

- النيل والفرات.

وعلى الفور تحول جزءٌ صغيرٌ جدًا من الجدار أسفل كفه مباشرة إلى نفس الجسم المعدني الذي كان في خزانة فرانك. أدار خالد الجسم الصغير في يده ورفع كفَّه إلى عينيه يتطلع إليه ثم تمتم:

- إذًا فأنت ما يبحث عنه الجميع.

وعلى الرغم من أن صوته كان خافتًا جدًا إلا أنه سمع من خلفه من يقول:

- نعم، هذا هو هدفنا منذ البداية.

استدار خالد إلى مصدر الصوت ليجد أمامه نسخة طبق الأصل من الرجل الذي حصل على الجسم المعدني الآخر في مكتب

فرانك وبصحبته رجل ضخم لدرجة مبالَغٌ فيها، يشبه الغوريلَّا حجمًاووصفًا بالضبط.

أشار الرجل الوسيم إلى الضخم وقال:

- رُدَّ إلينا بضاعتنا.

وقبل أن يتحرك الرجل قيد أنملة؛ انبعث صوت أحد رجال الشرطة الذي دخل من باب الشقة في هذه اللحظة وهو يصوب مسدسه للجميع ويقول بصرامة:

- قف، لا أحد يتحرك من مكانه.

وعلى الرغم من تحذيره؛ تحرك الضخم برشاقة وسرعة لا تتناسب مع حجمه، فدار على عقبيه ثم قفز لأعلى وارتفعت قدمه اليمنى لتطيح بسلاح الرجل إلى آخر البهو، وبمجرد هبوطها ارتفعت شقيقتها لتركله في فكه ركلة كالصاعقة أطاحت به ليستقر بجانب مسدسه في صمت.

في نفس اللحظة التي ارتفعت فيها صرخة الوسيم عندما وضع خالد كفه التي تحمل الجسم المعدني على جبهته ليمتزج في لحظات مع خلايا مخه، فاندفع الضخم نحو خالد دون أن ينطق بكلمة

واحدة وكأن صرخة زعيمه كانت هي الإذن بالانقضاض على المصري لتمزيقه إربًا.

رفع الرجل قبضته القوية وهوى بها على رأس خالد الذي لم يتحرك من مكانه، كل ما فعله هو أن ابتسم بهدوء مما زاد من غضب الرجل وزاد من قوة قبضته وهي تضرب رأس الهدف بقوة هائلة، والغوريلا متأكد تمامًا من أنها ستطيح برأس المليونير المصري من فوق كتفيه ولكن كل هذا لم يحدث.

فقبل أن تلمس قبضته رأس خالد؛ أغمض عينيه بهدوء ثم فتحهما فجأة ونظر في عيني الرجل الذي ارتدَّ للخلف كمن أصابته صاعقة من السماء ليرتطم بقائده ويأخذه في طريقه للحائط المقابل للمطبخ قبل أن يسقطا أرضًا.

ولأن هذه النوعية من البشر تهتم بتنمية الجسد وتترك عقلها ليتعفن، فما أن سقط الرجل الضخم أرضًا حتى انتابته موجة من الغضب الكاسح، فانتزع سلاحه الآلي وأفرغ خزانته بالكامل في جسد خالد مع صرخات الوسيم المحذرة، ولكن الوقت كان قد

انتهى بنهاية المليونير المصري الذي اتسعت عيناه في ألمٍ رهيب قبل أن يسقط أرضًا بلا حراك!

***

اتَّسعت عينا رغدة في مزيجٍ عجيبٍ جمع بين الرعب والدهشة والحزن والفزع وهي تنظر في عيني حسام وتشير إلى صورة زوجها على الشاشة العملاقة، والتي أظهرت جسده الممزق تمامًا بفعل رصاصات الرجل الضخم قبل أن تقول بصوتٍ مبحوح:

- هل مات؟

أجابها صمتٌ أبلغ من الإجابة في عيني حسام، فتابعت دون أن تنتظر إجابة منه:

- إذا كان خالد قد مات في اليابان، فمن الذي كان يعيش معي طوال الفترة السابقة؟!

اقترب منها حسام وظل يتطلع لعينيها الجميلتين للحظات، قبل أن يبتسم ابتسامته الباردة المعهودة ويقول:

- خَمِّني.

ولكنها لن تستطيع أبدًا أن تخمن ما الذي حدث وما الذي سيحدث في هذه اللحظة..أبدًا.

***

انطلق أزيز جهاز المتابعة _المتصل بجسد خالد الراقد على أحد أسِرَّة العناية المركزة بالمستشفى_ يدوي بصوتٍ عال، منذرًاالجميع بأن الحالة التي يراقبها قد عادت إلى وعيها بعد ثُباتٍ عميق.

اندفعت الممرضة إلى الغرفة التي تحوي جسد المريض، لتجد خالد واقفًاأمامها على قدميه في منتصف الحجرة وافر الصحة والعنفوان، وكأنه لم يعُد من غيبوبة عميقة، ارتفع حاجبيها إلى منبت شعرها عندما وجدته على هذه الحالة، ثم اندفعت نحوه عندما وجدته ينتزع الأسلاك المتصلة بجسده بعنف لتنبثق من مواضعها دماؤه الحمراء القانية بغزارة..

– ما الذي تفعله، حالتك غير مستقرة و..

لم تُتم المسكينة عبارتها، بل استبدلتها بشهقة هائلة وعينين متسعتين في مزيجٍ عجيبٍ جمع بين الدهشة والألم عندما استقبلها

الرجل بضربة هائلة على جبهتها قبل أن يُديرها بسرعة ويحيط عنقها بالأسلاك التي كانت في ذراعيه، ويضغط عليها بقوة هائلة..

مع قوة الضربة الأولى والاختناق بالأسلاك، استغرقت المسكينة عشر ثوانٍ قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة وتهوي أرضًا بلا حراك..في نفس اللحظة انطلقت صرخة أنثوية قوية، فرفع خالد رأسه إلى صاحبتها ليجد أمامه زميلة القتيلة على باب الحجرة وهي ترتجف وتطلق عدة صرخات هستيرية متتالية قبل أن تجري بكل ما لديها من قوة عبر أروقة المستشفى، فخرج عددٌ كبيرٌ من الممرضين من كل مكان لنَجدَة زميلتهم، وأسرع رجُلَي أمن الطابق بدورهم إلى هناك ثم اندفعا نحو خالد يحاولان منعه من مطاردة الفتاة البائسة، ولكن خالد استقبل أولهم بلطمة قوية على خده الأيمن اقتلعته من مكانه وألقت به إلى آخر الرواق، فانتزع الآخر مسدسه من غمده وهو يُلقي العديد من العبارات التحذيرية الغاضبة التي لم يُعيرها خالد أي اهتمام، بل اندفع نحو رجل الأمن وانتزع منه سلاحه ثم ضم قبضته اليمنى عليه بقوة

هائلة فتحول إلى كتلة صلبة غير واضحة المعالم، مما أثار دهشة وغضب الحارس، فاتخذ وضعًا قتاليًا يدل على أنه يمارس إحدى رياضات الدفاع عن النفس، ثم أطلق صرخة هائلة وهو يندفع نحو خالد بكل قوته وقبضته تستعد لتحطيم رأس ذلك الرجل الذي كان منذ دقائق أسير الفراش لاحول له ولا قوة، ولكن خالد تفادى قبضته بمهارة قبل أن تضرب قدمه معدة الرجل الذي اتسعت عيناه عن آخرهما واندفعت الدماء من فمه بعد أن تمزق جدار معدته بلا رحمة.

تركه خالد يسقط أرضًا قبل أن يقف في منتصف المكان تدور عينيه فيمن حوله يتطلع إلى الجميع بنظرات زائغة وكأنه يبحث عن شيءٍ ما..انتفض جسده بعنف شديد عندما دفع رجل الأمن الأول جهاز الصاعق الكهربي في ظهر خالد، لتسري في خلاياه أكثر من عشرة آلاف فولت من الإلكترونات الحرة. كانت الفولتات القوية تكفي لإفقاد أي كائن حي وعيه على الفور، ولكن خالد كان مختلفًا..

لقد استدار بجسده المنتفض ووضع كفه اليمنى على كتف رجل الأمن ليأخذ نصيبه من الشحنات الكهربية، ولكن الرجل لم يحتمل فسقط أرضًا وهو يرتجف بعنف، فتطلع إليه خالد بنظرة خاوية قبل أن يندفع بسرعة إلى باب الخروج دون أن يجرؤ أي كائن حي على الاقتراب منه..أبدًا.

***

حدَّقت رغدة في وجه حسام لدقيقة كاملة محاولة أن تستوعب ما يقوله، وفي نفس الوقت تحاول أن تجد إجابة لسؤالها سواء عنده أو عندها، وبما أنها حاولت أن تجد الإجابة وفشلت؛ لذلك فقد قالت بترقب:

- لا أستطيع أن أُخمن، وأعتقد أن الإجابة عندك.

جلس حسام بجوارها ببساطة وتحدث قائلًا وكأنه يحاور صديقًا له:

- نحن نتابع زوجك منذ فترة طويلة، نشاطاته.. أعماله..

صفقاته.. كما نفعل مع كل الشخصيات البارزة في غير بلدها.

قاطعته رغدة:

- ومن أنتم؟

أجابها وهو يبتسم ابتسامته اللزجة:

- إحدى المنظمات المحبة للسلام، وإعطاء المتعة لكل من يريد.

ختم عبارته بأن رفع سبابته في وجهها قائلًا:

- لا تقاطعيني حتى أنتهي من كلامي، فالوقت ليس في صالحنا.

اومأَت برأسها فواصل قائلًا:

- ولأن زوجك من أهم رجال الأعمال في العالم، لذلك فقد تم وضعه تحت المراقبة لحين الاستفادة منه، حتى جاءه العالم العراقي فادي منصور والذي كُنَّا نتابعه هو أيضًا لأنه من العلماء المهدور حقهم في أوطانهم، ومن خلال موانا إحدى جواسيسنا في شركة خالد؛ علمنا بما دار بين خالد ومنصور، لقد عرض العالم العراقي على زوجك شريحة معدنية صغيرة متطورة بإمكانها نقل صاحبها إلى العديد من الأكوان الموازية، تخيلي أنك تستطيعين التنقل بين الأكوان بكل يسر وسهولة، دون أي عوائق، تستطيعين أن تقابلي نفسك بعدة صور وأشكال وألوان، لذلك فقد قررت منظمتنا الحصول على التجربة بأي ثمن،ولما كان زوجك صعب

المراس ويستحيل إقناعه بالتنازل عن تجربة مثل هذه، لذلك فقد لجأنا إلى وضعه تحت ضغط عصبي ونفسي رهيب عن طريق تجربة المتعة، حتى يصل لمرحلة النهاية فيتورط في مشكلة كبيرة لا فكاك منها عن طريق الجهاز الموجه الموجود في رأسه، والذي نحركه كيف نشاء، ولكنه فجأة خالف التوقعات وعاد إلى منزله، ولولا أننا كنا نراقبه ووصلنا إلى منزله واشتبكنا معه لكان فرَّ منَّا بلا رجعة، ولكنه على الرغم من كل ذلك؛ فقد لقي مصرعه ولم نحصل على الشريحة لأنه كان واضعًا لها وسيلة حماية، ولا يوجد في العالم أجمع من يستطيع كسر شيفرتها إلا أنتِ عندما تنتقل إليكِ، وهذا ما فعلناه معكِ فنقلنا ذاكرته بالكامل إليكِ وجعلناكم تتفاعلون معًا عبر ذاكرتين مختلفتين وجسد واحد.

صمت ليلتقط أنفاسه، فاستغلت الفرصة وسألته بسرعة:

- لم تُجِب على سؤالي، إذا كان زوجي قد مات، فمن الشخص الذي كنت أعيش معه منذ عودته من اليابان؟

أجابها بعد هنيهة:

- مُحالٍ.

رددت كلمته باستغراب، فتابع وهو يتحرك في المكان:

- عملية تجميل بسيطة لأحد رجالنا، مع وضع ذاكرة خالد داخل ذاكرته مقابل مبلغ من تسعة أصفار، ولكن شاء القدر أن تتعرضوا لحادث الطريق الذي جعل الخطة تتجه نحو الفشل، ولكنني اقترحت عملية نقل ذاكرة خالد إليكِ كي نحصل على الشريحة بعد أن فشلنا في ذلك مع شبيهه الذي كان يعيش معكِ، فمع الأسف أنتِ الوحيدة التي نقل إليها خالد كلمة سر التجربة ولن تُفتح إلا من خلالك، فوضعناكِ تحت نفس الضغط العصبي الذي تعرض له خالد حتى تستسلمي وتخبرينا بكلمة السر.

قطع حديثه ارتفاع صوت هاتفه المحمول، فالتقطه على الفور وضغط زر التحدث، ثم ساد الصمت في المكان وهو يعقد حاجبيه بقوة قبل أن تنفرج شفتيه ويقول بلهجة آمرة:

- كثِّفوا المراقبة عليه ولا تدعوه يغيب عن أنظاركم.

أغلق هاتفه ثم تنهد وهو يلتفت إلى رغدة لتتسع عيناه دهشة، فالحجرة كانت خالية تمامًا من زوجة المليونير المصري.. أخذ يدور في الحجرة باحثًا.. ولكن بلا فائدة..

لقد اختفت رغدة تمامًا.. وبلا أثر

***

انطلق شبيه خالد يعدو في المدينة بلا هدف، لقد ضحى بوجهه وجسده الحقيقي مقابل حفنة من الأوراق البالية، لقد وقع حسام في خطأٍ رهيب عندما انتزع ذاكرة خالد الحقيقي من رأسه ووضعها في رأس رغدة، وقتها عبث ببعض الأعصاب الحسية برأسه مما أصابه بخلل في موضع الذاكرة، فجعلها صفحة بيضاء خالية من المداد.

كان لهذا تأثيرٌ رهيب على هذا المسكين، لقد أزالت كل مشاعر الإحساس مع الذاكرة البيضاء من رأسه، وحولته إلى وحشٍ كاسر لا رادع له..

- توقف يا هذا، وإلا أطلقت الرصاص.

استدار شبيه خالد إلى صاحب الصوت، فوجد أمامه ضابط شرطة يصوب إليه مسدسه بتوتر ومن خلفه فرقة مسلحة كاملة العتاد..

كان من الواضح أن الساحة الخلفية للمستشفى ستشهد نهاية شبيه خالد في الثواني القادمة.. لولا ما حدث بعد عبارة ضابط الشرطة..

اندفعت دراجة بخارية تخترق الحدث وتفصل بين الرجل ورجال الشرطة وصاحبها الملثم يشير لشبيه خالد بالركوب دون أن يتوقف، وبالفعل اعتلى الرجل الدراجة لتزداد سرعتها وهي تبتعد عن المكان وسط دهشة وحيرة رجال الشرطة الذين أخذتهم المفاجأة، فلم يتحرك أي واحد منهم قيد أنملة، ليغرقوا في حيرتهم وغضبهم..

أما شبيه خالد؛ فقد استكان خلف قائد الدراجة دون أن يتحرك، في حين انطلق الآخر بأقصى سرعته ليبتعد عن المكان، وعندما وصل إلى منطقة آمنة، وضع سبابته اليمنى على أذنه اليمنى وضغط سماعة صغيرة مختفية داخلها ثم قال:

- البضاعة في آمان.

صمت قليلًا ليتلقى أوامر معينة قبل أن يقول:

- عُلم وينفذ.

ثم أغلق السماعة، وزاد من الضغط على مقود السرعة لينطلق إلى آخر مكان يمكن أن يخطر على بال أحد..أي أحد.

***

الفصل العاشر

كان الانتقال صعبًا جدًا..

لقد شعرت رغدة كأنها قطعة لحم وُضِعت في مفرمة حادة السكاكين، ألم حاد في كل خلية من خلايا جسدها، شعرت بالغثيان مع سرعة الانتقال الرهيبة التي تخطت مربع سرعة الضوء، مع ضربات قوية في رأسها، جعلت مخها يرتج بقوة داخل جمجمتها، مع ضوءٍ قوي تبدَّل بسرعة فأَغشى عينيها، فأغلقتهما بقوة ثم فتحتهما لتجد أمامها العديد من الثقوب السوداء مرتبة ترتيبًا عشوائيًا، أُسقط في يديها ولم تعلم كيف تتصرف، كل ما تذكره هو أن حسام كان يتحدث في الهاتف، وفجأة انطلق صوت خالد في عقلها يقول:

- رغدة، سأخبرك بكلمة سر الشريحة التي ستنقلك إلى عوالم وأكوان موازية، لعلها تعوضك عما فقدتيه في حياتك، ولكن احذري فلو وجدتي نفسك في عالمٍ آخر وتقابلتي مع نفسك وجهًا لوجه؛ ستنتهي حياتُك وتضيعين في نهر الزمن، كلمة السر هي "دوجما".

وجدت نفسها على الرغم منها تردد كلمة السر، وفي طرفة عين كانت أمام الثقوب السوداء بعد أن مرَّت بالتغيُّرات السابقة، وهي الآن أمام عدة اختيارات لا تدري أيها تختار، ولأنها صريحة دائمًا وتسير دائمًا بمبدأ أن أقصر الطرق هو الخط المستقيم، لذلك فقد وقع اختيارها على الثقب المواجه لها مباشرة، والعجيب أنها لم تتحرك من مكانها، بل الثقب الذي تحرك نحوها وكأنه قرأ أفكارها، فاخترقته بسرعة تماثل سرعة الانتقال الأولى.. وفقدت الوعي!

***

تسللت آشعة الشمس إلى وجه رغدة تداعب وجنتيها برفق، ففتحت عينيها ثم أدارت وجهها فيما حولها لتجد نفسها في حافلة خاصة وبجانبها رجلٌ وقور يمسك بيده كتاب غاص بين دفتيه، حتى أنه لم يشعر بها وهي تميل برأسها لتقرأ عنوان الكتاب وهي تعقد حاجبيها وتتمتم باستغراب:

- الحرب والسلام تأليف دوستويفسكي!

أخرج صوتها الرجل من قراءته، فأغلق الكتاب وهو يتطلع إلى غلافه قائلًا:

- نعم يا سيدتي، إنها ملحمة رائعة، من أجمل ما كتب دوستويفسكي.

هزت رأسها بقوة وهي تشير إلى الرواية وتقول:

- هناك خطأ ما، فمؤلف الحرب والسلام هو ليوتولِستوي وليس دوستويفسكي.

تلفَّت الرجل حول نفسه بخوف وتوتر ثم ابتلع ريقه وقال هامسًا:

اصمتي يا سيدتي، كفاكي مزاحًا، فعيون السماء في كل مكان.

غمغمت قائلة:

- عيون السماء، ماذا تعني؟

لم يُجِبها، بل عاد للغوص في كتابه مما أثار سخطها فأدارت وجهها إلى باقي رُكَّاب الحافلة، فوجدت مجموعة من الرجال والنساء في العقد الثالث من العمر، يرتدون زيًّا موحدًا، عبارة عن حُلَّة زرقاء وقميص ناصع البياض ورابطة عنق رمادية اللون..

لا تدري ما الذي حدث، وإلى أين تذهب، لقد أفاقت بعد عملية الانتقال لتجد نفسها فى عالم غير عالمها، هل هذا بالفعل ما أراده خالد؟

أن تنتقل إلى عالم آخر له ضوابطه وقوانينه..

واتسعت عيناها دهشة عندما نظرت من نافذة الحافلة إلى مبنى حكومي على مرمى البصر يرفرف فوقه علَمٌ يحمل في منتصفه صليبًا معقوفًا، طالما أثار سخط العالم أجمع في عالمها وفي عصرها..

علم الحزب الألماني النازي..

عادت مرة أخرى إلى الرجل، وتعلقت بذراعه وهي تقول بخوف:

- ما الذي يشير إليه هذا العلم؟

عقد حاجبيه وهو يطوي صفحات كتابه ويضعه على فخذه ويقول:

- كيف لا تعرفين يا سيدتي وأنتِ تعملين في هذا الجهاز الإداري العسكري الوطني، هل تمزحين؟

أشارت إلى صدرها وهي تقول متسائلة:

- أنا أعمل هنا؟

أجابها وهو يضحك:

- ماذا دهاكِ يا نتاليا، هل احتسيتِ كأسًا من الفودكا على خواء الريق؟

رددت الاسم بتعجب وهي تُعاود التطلع مرة أخرى إلى العلم الذي أصبحت الحافلة أمامه تمامًا..

توقفت الحافلة واندفعت عربات صغيرة من المبنى تشبه عربات الجولف التي تتسع لراكبَين فقط خلاف قائدها، فهبط الرجل من الحافلة وركب السيارة التي لم تتحرك من مكانها، في حين تحركت باقي السيارات تحمل باقي الموظفين إلى المبني الكبير..

أشار الرجل إلى رغدة المندهشة أن تنزل وتركب بجانبه، ظلَّت ثوانٍ دون أن تبرح مكانها وهي تسأل نفسها:

- ماذا سأفعل في هذا المبنى؟

لم تجد إجابة.. فقامت من مكانها وقررت أن تطيع الرجل لعلها تجد الإجابة هناك داخل ذلك الكيان المبهم..

- هل سنقابل الفوهلر هنا؟

التفت إليها مندهشًا والسيارة تحملهما إلى مقر العمل، كانت سيارة إلكترونية بلا سائق، ولكن هذا لم يشغل بال رغدة بقدر ما شغلها سؤالها للرجل الذي ظل يحدق في وجهها قليلًا قبل أن يطلق ضحكة عالية ساخرة ويقول:

- الفوهلر!! ماذا حدث لكِ هذا الصباح يا عزيزتي، لقد مات الفوهلر من زمان يا عزيزتي، فبعد أن انتصرت ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، واحتل الرئيس العظيم أدولف هتلر العالم أجمع، ورُفع علم ألمانيا النازية على العالم أجمع، وتم القضاء على الجنس اليهودي تمامًا، اعتلى الفوهلر عرش العالم أجمع و..

قاطعته رغدة قائلة وفكها السفلي يتدلى لأسفل من فرط الدهشة:

- هل احتلت ألمانيا العالم؟ أولم ينتحر هتلر؟

طرحت بذور الشك أشجار كبيرة داخل الرجل عندما سألته هذا السؤال بالذات، وعندما وصلوا إلى داخل المبنى لم يدخل إلى مكتبه الذي يضمه هو ورغدة أو نتاليا كما يناديها، بل توجه إلى

رئيسه في العمل الذي استقبله بلا مبالاة، ولم يدعُه للجلوس، ولكن عندما أخبره الرجل بشكوكه حول رغدة؛ اعتدل الرجل في مكانه وبدى عليه الاهتمام، وأشار للرجل بالجلوس، ثم قال:

- أعد عليَّ ما دار بينك وبين نتاليا يا سيرجي مرة أخري .

تكلم سيرجي وهو يحك أرنبة أنفه ويقول:

- نتاليا كانت غريبة جدًا، شعرت أنها إنسانة أخرى غير التي اعتدتُّها طوال فترة عملي معها، كانت تسأل عن أساسيات حياتية، بداية من الثقافة حتى حياتنا السياسية، التي عندها توقفت كثيرًا.. وخاصةً عندما ذكرت أمرًا في منتهى العجب.

صمتَ ليلتقط أنفاسه، فاستحثه رئيسه على مواصلة الحديث قائلًا:

- ما هو؟

تكلم سيرجي هذه المرة على الفور وكأنه يلقي عن كاهله عبئًا ثقيلًا:

- انتحار الفوهلر.

انتفض الرجل في مكانه كمن لدغه عقرب، مما أثار حفيظة سيرجي الذي تراجع في مقعده خوفًا من رئيسه، الذي أطلق زفرة حارة وهو يقول:

- أعداء الوطن يحاولون تغيير التاريخ، ولكن نتاليا مشهودٌ لها بالأمانة، ونثق بها ثقة عمياء، كيف تقول ذلك؟ هل تم استدراجها وتوريطها في أمرٍ خطير مثل هذا.

أسئلة كثيرة تزاحمت داخل عقله تلهث من أجل إجابة واحدة ولكن دون فائدة، هَمَّ بإكمال حديثه مع سيرجي عندما ارتفع رنين هاتف مكتبه، فالتقط سماعته واستمع إلى صوت محدثه للحظات قبل أن يرتفع حاجبيه حتى منبت شعره قبل أن يضع السماعة، وينظر إلى سيرجي وهو يقول ببطء:

- لقد اتصلت نتاليا من منزلها اليوم تعتذر عن الحضور لأنها مريضة.

جاء دور سيرجي لينتفض في مكانه وهو يقول بصوتٍ مبحوح:

- ماذا؟! ولكنها كانت معي منذ قليل.

قام رئيسه من مكانه وهو يشير إليه ويقول:

- هيا، سنذهب إليها معًا.

لم ينتظر رأي سيرجي، بل اتَّجه مباشرةً للخارج حتى وصل إلى مكتب رغدة، فدفع الباب دون أن يطرقه فوجدها جالسة خلف المكتب واضعة كفها أسفل رأسِها وسارحة في أفكارها..

تنحنح رئيسها في العمل ثم قال:

- صباح الخير نتاليا.

رفعت رأسها إليه ثم ظلَّت تحدق في وجهه دون رد فأعاد عليها السلام مرة أخرى، فردَّت تحيته مما شجعه على أن يتقدم إلى داخل الحجرة ويجلس على المقعد المقابل لمكتبها، وحذا سيرجي حذوه، فقال الرجل وهو يتطلع إلى ملامح رغدة باهتمام:

- كيف حالك؟

أجابته بصوتٍ مبحوح:

- بخير.

صمتَ قليلًا وهو ينظر إلى الأرض، قبل أن يرفع رأسه مرة أخرى ويقول:

- كيف حال جوزيف؟

تلعثمت وهي تقول:

- بخير.

عاد لسؤالها مرة أخرى وهو يبتسم ابتسامة باهتة:

- هل التأمت جروحه؟

أجابته بعد أن عثر عقلها على إجابة مناسبة:

- نعم، لقد التأمت أخيرًا بعد أن أرهقتنا لعدة أسابيع.

تجمَّدت الابتسامة على شفتيه، مع إجابتها قبل أن يقوم من مكانه وهو يقول:

- بلغيه تحياتي.

قال عبارته ثم ترك المكان وفي طريقه إلى الخارج سأله سيرجي:

من هو جوزيف؟

أخرج الرجل هاتفه المحمول المتطور وضغط زرًّا معينًا فيه، وانتظر حتى آتاه صوت محدثه فقال:

- لقد عثرت على أحدهم.

صمت قليلا ثم تابع:

- لا، إنها امرأة، نتاليا أندروفيتشي، مبرمجة من الدرجة الأولى.

صمت مرة أخري، قبل أن يقول:

- حسنًا، أنا في انتظاركم.

أغلق الهاتف ووضعه في جيبه ثم أجاب سيرجي دون أن يلتفت إليه:

- لا وجود لأي شخص اسمه جوزيف في حياة نتاليا.

ثم صمت لثوانٍ قبل أن يتابع بصرامة وهو يلتفت إليَّ سيرجي:

- أبدًا.

ثم عاد إلى مكتبه فى انتظار القادم من هناك..

من المخابرات الألمانية..

الجنرال توماس مان.. الذئب.

***

بشفتان داميتان وعينان ذابلتان ودماء متجمدة في منتصف رأسها من أثر التعذيب، تطلعت رغدة إلى الجنرال توماس مان أحد أهم رجال المخابرات الألمانية، والمُلقب بين أقرانه بلقب فريد من نوعه، لقب الذئب..

ظل توماس يتطلع إليها في صمتٍ متشفٍ قبل أن يسألها بصرامة:

- من أنتِ؟

دار سؤاله في رأسها كقمر صناعي ذو محركات قوية يدور بكامل طاقته حول الأرض، ولكن دون إجابة، هل تخبره أنها رغدة أم نتاليا كما ينادونها في هذا العالم؟

لا تدري أين الطريق الصحيح في هذا العالم العجيب، المختلف تمامًا عن عالمها الذي وُلِدت وعاشت وأحبت فيه.. لم يمهلها توماس وقتًا للتفكير، بل أشار برأسه إشارة ذات مغزى لأحد الجنود الأشداء الواقف بجوار رغدة، فهوى على فكها بلكمة كالصاعقة، أطارت اثنين من أسنانها واندفعت الدماء بغزارة من فمها، مع صداع انتشر فجأة كالنار في الهشيم برأسها، فأخذت تلهث من شدة الألم، فأشار الجنرال مرة أخرى للجندي الذي هَمَّ بتكرار تجربته، فأشارت إليه رغدة بالتوقف وهي تقول:

- نتاليا.

اقترب الجنرال منها وقال بلهجة حاسمة:

- نتاليا تقدمت بطلب إجازة اليوم لمرضها المفاجيء، مما أثار الشكوك من حولك.. وخاصةً أسئلتك الغريبة حول تاريخ ألمانيا، فأنت تقولين أن الفوهلر انتحر، ولكن القائد العظيم مات على فراشه بعد سنوات عديدة من انتصاره هو واليابان على قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ثم اجتياحه للعالم أجمع حتى اعتلى عرش العالم، ليصبح قائدًا للعالم بأسره وليس لألمانيا فقط.

كانت تستمع إليه بأقصى درجات التركيز والانتباه، فما يقوله مخالفٌ تمامًا للتاريخ الذي درسته في عالمها، وأيضًا لما استمعت إليه من والدها، ولكن مهلًا.. إن هذا الرجل لم يذكر اسم إسرائيل طوال حديثه، نقلت كلماتها من عقلها إلى لسانها، فعقد الرجل حاجبيه وهو يقول بخفوت حذر:

- لم يعُد لهم أي وجود في العالم أجمع، لقد قضى الفوهلر العظيم عليهم وعلى من بقي من جنسهم تمامًا، إما بوضع الزاج الأخضر في أفواههم وأعينهم، أو غرقًا في المحيط، أو التصفية الجسدية، والكثير والكثير من أشكال الموت المختلفة.

صمت قليلًا ثم سألها:

- – هل أنتِ إسرائيلية؟

لم تجِبه هذه المرة، فبرقت عيناه بشدة كنمرٍ وحشي التقطت أنفه رائحة دماء طازجة، فقام من مكانه ثم أشار إلى أحد الجنود وهمس إليه بعبارة ألمانية جعلت الجندي يتطلع إلى رئيسه، ثم ينظر نحو رغدة بإشفاق قبل أن يؤدي التحية العسكرية بقوة، فابتسم توماس ابتسامة صفراء.. ثم اقترب من رغدة وقال بهدوء قاتل:

- مرحبًا بكِ في الجحيم.

لم ينتظر إجابتها.. بل غادر المكان وهو يشير لجنوده بالانصراف، فتبعوه إلى الخارج، وتركوها وحيدة في هذا السجن الغريب، والذي هو عبارة عن حجرة صغيرة بلا أي نوافذ على الإطلاق، لها باب واحد قصير، حتى أن من يدخل منه أو يخرج لابد أن ينحني..

بالحجرة مقعدين فقط، أحدهما وثير كان يجلس عليه توماس، والآخر تجلس هي عليه..

تساءلت مع نفسها عن الوقت في هذه اللحظة، كل ما تذكره أنها بعد انصراف رئيسها من مكتبها ظلت تفكر في حديثه وتدرسه من جميع الجوانب، وما هي إلا ربع الساعة حتى وجدت أمامها رجلًا قاسي الملامح يرتدي ملابس مدنية، أبرز لها هويته التي تؤكد أنه أحد رجال الأمن الوطني، اصطحبها معه هو ورجلين آخرين لهما نفس هيئته إلى إدارة الأمن هناك، ليستلمها منهم الجنرال توماس مان، الذي استقبلها هو ورجاله بحفلة تعذيب تليق بها، تضمنت قائمتها الضرب المبرح والصعق بالكهرباء والسحل والشنق لدرجة الدنو من الموت وغيرها وغيرها من ألوان العذاب، كل هذا دون أن يطرح عليها أحد أي سؤال، حتى جاءها توماس مرة أخرى ودار بينهما الحوار السابق.. تطلعت إلى الضوء الخافت القادم من أسفل الباب، والذي يدل على أن الشمس لوحت بكفها مغادرة لتفسح مكانًا لليل كي يأتي بهيبته وجلاله، بحسبة بسيطة وجدت أنها مكثت عشر ساعات كاملة في هذا العالم الغريب..

أدهشها أنها غير مقيدة في الحجرة، وكأن الحراس يدركون جيدًا استحالة مغادرتها للمكان مهما حاولت.. تحاملت على نفسها وقامت من مكانها واتجهت إلى الباب ثم رفعت كفها عازمة على طرقه.. وتحرك الباب نحوها، لم تكن تحلم، لقد تحرك الباب نحوها بالفعل وعندما ابتعدت عنه أدركت الحقيقة المُروعة، لقد كانت داخل إحدى الحجرات التي تشبه ماكينات الإطباق على المعادن، تلك التي تستخدم فى أماكن سيارات الخردة، والتي بدأت جدرانها الأربعة في التحرك نحو رغدة بسرعة متوسطة.. أخذت تتحرك في المكان بتوتر وعصبية، باحثة عن أي وسيلة للفرار من هذا الفخ المحكم الذي يستحيل الفكاك منه..

- لامست الجدران جسدها، واختلفت أضلاعها مع ضغط المعدن الشديد عليها فأطلقت صرخة هائلة من شدة الألم، ومع تقارب الجدران الأربعة من بعضها؛ أدركت رغدة أن حياتها في هذا العالم باتت وشيكة على الانتهاء، ولكن انطلقت صرخة أمل داخلها عندما تذكرت كلام خالد معها عن الشريحة المعدنية.. (عندما تريدين العودة للزمان الذي تعيشين فيه انتزعي الشريحة

المعدنية من جبهتك، ستنتقلين بسرعة البرق إلى عالمك).. رفعت ذراعها بصعوبة بالغة إلى جبهتها وتحسستها بوهن حتى شعرت بالشريحة المعدنية، فانتزعتها بقوة.. وأطبقت الجدران الأربعة على بعضها البعض ..وبكل عظمة الدنيا أشار توماس مان إلى أحد الجنود، فجذب ذراعًا معدنيًا لتعود جدران الحجرة إلى طبيعتها مرة أخرى، فاندفع أحد الجنود وفتح بابها مفسحًا الطريق لقائده، الذي دخل إلى المكان وعقد حاجبيه بغضبٍ رهيب، وهو يلقي بسبابٍ ألماني قذر، وهو يدور في المكان باحثًا عن أسيرته الإسرائيلية.. فالحجرة الصغيرة لم يكن بها أي أثر للمصرية رغدة، أو الألمانية نتاليا أو أي امرأة علي الإطلاق!

***

فجأة وجدت نفسها جالسة على الأريكة الصغيرة داخل فيلَّتها الصغيرة.. لقد عادت مرة أخرى إلى عالمها، وأثبتت نجاح تجربة دكتور فادي منصور، السفر عبر الأكوان، فعلى الرغم من العذاب الرهيب الذي تعرضت له في العصر النازي؛ إلا أنها كانت سعيدة لخوضها تجربة فريدة من نوعها، تحسست جسدها

فلم تجد أي آثار للتعذيب الذي ذاقته هناك، أدارت رأسها نحو مرآة كبيرة معلقة على الجدار بجانبها، لقد كانت عيناها متورمتان وشفتيها داميتان أما الآن فوجهها مشرق كما كان من قبل.. أخذت عيناها تدوران في المكان تتطلع إلى كل ركنٍ فيه وكأنها تراه لأول مرة، حتى وقعت عيناها على روزنامة ضوئية على أحد الجدران، كانت تشير إلى أن اليوم هو الخامس من أغسطس عام ٢٠٣٠، كل ما تذكره أنها غادرت الفيلَّا يوم الرابع من أغسطس عام ٢٠٢٠،معني هذا أن عمرها زاد عشر سنوات خلال العشر ساعات التي قضتها هناك، ولكنها كما هي لم تتغير، لم يظهر عليها أي تغيير في الوجه أو الجسد، عشر سنوات ليست بالقليلة.. عشر سنوات قد يتغير فيها العالم تمامًا، تنهار دول، وتقوم أخرى..

التقطت جهاز التحكم عن بُعد الخاص بالتلفاز وضغطت الزر الخاص بتشغيله، كانت الفقرات التي يعرضها التلفاز جديدة لم تراها من قبل، حتى البرامج الثابتة طرأ عليها بعض التغيير البسيط، ما عدا برنامج واحد فقط (حدث في مثل هذا اليوم)

تابعت البرنامج باهتمام وكأنها تبحث عن شيءٍ ما، حتى وجدته بالفعل..

خبر عن منظمة المتعة، التي كانت السبب في كل ما هي فيه، والذي راح ضيحته زوجها الحبيب خالد..

كان البرنامج يعرض كل ما يتعلق بمنظمة المتعة، نشأتها فياليابان، طريقة جذب البشر إليها واستغلالهم لتحقيق أطماعهم الشخصية، ومن ضمن التقرير الذي تشاهد فقراته وتستمع إلى المذيع الذي يُعلق على كل لقطة منه، ظهرت قوات الشرطة اليابانية وهي تداهم مقر المنظمة بعد أن كانت الحكومة تتابعهم وتتابع نشاطهم لحظة بلحظة، حتى جاءت لحظة الانقضاض عليهم، ولقد أظهرت الشاشة الياباني سيكامورا وقوات الشرطة تداهم وكره وتلقي القبض عليه ويقودونه إلى إحدى سياراتهم المصفحة..

انتقل المشهد إلى القاهرة عند اللحظة التي ظهر فيها الرجل راكبًا الدراجة البخارية وهو يهرب مع شبيه خالد من قوات الشرطة المصرية، ثم يأخذ تعليمات الخطوة القادمة والتي نقلتها

الكاميرات المنتشرة في كل مكان في شوارع العاصمة، لقد انطلق راكب الدراجة مع شبيه خالد إلى مرآب المستشفى وعبَره بسرعة قبل أن ينزل عن الدراجة مع رفيقه ويطرق بابًا صغيرًا جانبيًا في المكان، فُتِح بعد الطرقة الأولى، ليختفي بداخله الرجلين، وما هي إلا دقائق معدودة إلا وداهمت قوات الشرطة المكان وانقض رجالها على راكب الدراجة الذي استسلم على الفور، أما شبيه خالد فقد انقض عليهم كالوحش الكاسر، لقد أثار هجوم رجال الشرطة خوفه وتوتره، فأخرج ذلك على هيئة طاقة استغلها في الهجوم عليهم، فكسر عنق جندي وشجَّ رأس آخر، وعندما تكالب عليه باقي الجنود؛ أطاح بهم الواحد تلو الآخر وانطلق يجري في المكان بعشوائية، وهنا لم يعُد أمام رجال الشرطة غير هدف واحد..

القضاء على هذا الشخص المجنون..صوَّبوا أسلحتهم إليه ولم يبخلوا بمئات الرصاصات التي اخترقت جسد الرجل وحوَّلته إلى مصفاة، اتسعت عيناه من شدة الألم قبل أن يسقط أرضًا بلا حراك..

آخر مشهد في التقرير المُطوَّل هو مشهد اقتحام رجال الشرطة المصرية للوكر الذي كانت محتجزة فيه مع خالد والشخص الياباني الغامض الذي كان يدير كل شيء من وراء الستار.. استسلم حسام دون مقاومة هو والياباني، لتغلَق هذه الصفحة من المطاردات ويبدأ التقرير في الوصول لمحطته النهائية عندما تحدث الرجل عن العقاب الذي ناله كلًا من خالد والياباني في مصر.. الياباني ظل في السجن لسنتين كاملتين، دارت خلالهما الكثير والكثير من المباحثات الدولية بين مصر واليابان بشأن الرجل، والذي وصلت في النهاية إلى قرار يرضي الطرفين، على الجانب المصري تسليم الرجل إلى السفارة اليابانية في مصر والتي ستعمل على ترحيله لدولته الأم ليعاقَب هناك بما تراه الحكومة مناسبًا، مقابل حصول مصر على العديد من الاختراعات اليابانية لخمس سنواتٍ قادمة، والتي ستنقل مصر نقلة حضارية كبيرة تجعلها في مصافّ الدول العظمى..

أما حسام فقد بلغ مجمل الأحكام التي حصل عليها مقابل أفعاله الإجرامية في مصر، خمسون عامًا، قضى منها ثلاثة في السجن قبل أن يختاره المولى عز وجل ليكون أحد نُزلاء جهنم وبئس المصير.

انتهى البرنامج عند نهاية التقرير، فأغلقت رغدة عينيها وأرجعت رأسها إلى الوراء واحتلت صورة خالد كل الموجودات من حولها، قبل أن ينطلق عقلها بسؤال في منتهى الأهمية.

هل ستعيد تجربة الشريحة مرة أخرى؟ أم ستكتفي بما حدث وتقوم بتدميرها؟

فتحت عينيها وابتسمت ابتسامة جذابة وهي تلتقط الشريحة المعدنية من على المنضدة الصغيرة التي أمامها وتتأملها بإعجاب قبل أن تضعها على جبهتها..وتختفي من المكان بأكمله، إلى كونٍ آخر، وعالمٍ آخر..عالمٍ مواز.

تمت بحمد الله

التعريف بالكاتب:

محمد عبد الرازق محمد من مواليد الجيزة، كيميائي، صدر له العديد من الروايات منها:

عرير	دار الراية للنشر والتوزيع
الشبح	دار نون للنشر والتوزيع
الثعلب الأحمر	دار غراب للنشر والتوزيع
دماء لوسيفر	دار السعيد للنشر والتوزيع
فودو	دار السعيد للنشر والتوزيع
اللعنة الأخيرة	دار السعيد للنشر والتوزيع
جحيم الماتريوشكا	دار السعيد للنشر والتوزيع
ديليڤري	دار السعيد للنشر والتوزيع

قصة قصيرة بعنوان (الخوف) ضمن أحد الكتب الجماعية التابعة للجمعية المصرية لأدب الخيال العلمي.

تحت الطبع:

رواية طنين

رواية غيوم

رواية دموع

العدد الثاني من سلسلة أكوان بعنوان (الجدار)

الفهرس

الفصل الأول ٥
الفصل الثاني ٢٨
الفصل الثالث ٤٦
الفصل الرابع ٥٧
الفصل الخامس ٧٣
الفصل السادس ٩٢
الفصل السابع ١١٢
الفصل الثامن ١٢٩
الفصل التاسع ١٤٤
الفصل العاشر ١٥٩
التعريف بالكاتب: ١٨٢